

المسحاة

مجلة

المجلد السادس عشر
الجزء الحادي عشر



إهداء من

طبعة دار الوفاء
للطباعة والنشر

تابعوا ...



WWW.ALUKAH.NET

(المجلد السادس عشر)

٨٠١

(الجزء الحادي عشر)

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي
خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب

المسحاة

١٣١٥

بشر عبادي الذين يستمعون القول فينبهون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

مصر ٣٠ ذي القعدة ١٣٣١ هـ ق ١٠ الحريف الثاني ١٢٩١ هـ ش ٣٠ اكتوبر ١٩١٣

(المجلد السادس عشر)

(١٠١)

(المنار ج ١١)

٨٣٢ صرف الزكاة في تعليم العلم النافع (المترجم ج ١١ ص ١٦)

فتاوى المتبائن

الانتهاج هذا الباب لاجابة اسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسمع الناس طاعة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج فالباور عاقده مناه تاخر السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه ورعا اجتماعا غير مشترك لمثل هذا ، وان مفي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم يذكره كان لنا عذر صحيح لا نقاله

﴿ صرف الزكاة للاعانة على تعليم القرآن والكتابة وغيرهما من العلم المنافع ﴾

(من ٤٠) من الشيخ عبدالله بن عمر مدحج ناظر المدرسة الابتدائية الاسلامية

ببلد الشيخ عثمان من ملحقات (عدن) نذكره بالمعنى مختصرا

سبب السؤال ان السائل اسس مدرسة في بلدة الشيخ عثمان لأجل تعليم أولاد الفقراء المعجزين عن أجرة التعليم ، ولا بد لهذا من نفقة . وملخص السؤال : هل يجوز ان يدفع أغنياء البلد شيئا من زكاة أموالهم للاعانة على هذا التعليم ويدخل ذلك في بعض الاصناف الثمانية التي تصرف لها الزكاة ام لا ؟

(ج) اذا كان المدير والمعلمون في هذه المدرسة من الفقراء والمساكين فلا خلاف في جواز دفع الزكاة لهم ، ولا يكلفون ان يتركوا التعليم لا جل كسب آخر وان قدروا عليه لأنهم قائمون بفرض من فرائض الدين وهو تعليم ما يجب عليه على المسلمين أو يسن لهم ، فان كانوا لا يحسنون كسبا آخر فالامر اظهر . ويجوز ان يوكل مؤتي الزكاة ناظر المدرسة في صرف ما يعطيه اياه من زكاته على مستحقيه من المعلمين أو التلاميذ الفقراء أو المساكين . ولكن المعلمين ونظار المدارس لا يعدون من الاصناف التي تجب لها الزكاة لأنهم وبوصف المعلمين الا على التوسع في تفسير (وفي سبيل الله) والمشهور عند جمهور الفقهاء ان المراد بهذا الصنف النزاهة في سبيل الله . وزاد بعض الأئمة فيه الحج ، واختار الاستاذ الامام ان المراد بسبيل الله كل عمل صالح من المصالح العامة يتقرب به الى الله تعالى . وبهذا التوسع تدخل النفقة على تعليم العلوم المطلوبة شرعا . وجملة القول إن القائمين بأمر التعليم يعطون من مال الزكاة اذا كانوا فقراء او مساكين أو غارمين بغير خلاف . ومثل ذلك اعطاؤها لآلئاه التلاميذ الفقراء لينفقوا منها على تعليم أولادهم ، ويجوز التوكيل في الدفع للمستحق أيضا ، واظن ان هذا كاف في المقصود والله اعلم

(المنار-ج ١١ م ١٦) رد ما يستدلون به من القرآن على عدم التحريف ٨٣٣

نظرة

﴿ في كتب العهد الجديد وعقائد النصرانية ﴾

﴿ تابع لما قبله ﴾

﴿ فصل في رد ما يستدلون به من القرآن على عدم تحريف كتبهم ﴾

قد يقول بعض القارئین : إذا صح قولك فيما سبق بضياح جزء عظيم من الانجيل واختلاط الحق بالباطل فيما بقي منه حتى فسد تقريبا فما معنى قوله تعالى (ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم) وقوله (ولكن تصديق الذي بين يديه) وكيف مدح الله التوراة والانجيل وحث أهل الكتاب على إقامتهما في مثل قوله في سورة المائدة (قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل إليكم من ربكم وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين) وغير ذلك؟ قلت : —

أما قوله تعالى (ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم) فعناه أنه عليه السلام جاء طبق ما عندهم عنه في التوراة والانجيل يعني أن أحواله جميعا توافق البشائر المخبرة بهجيته تمام المواقفة ولا تختلف عنها في شيء كما يبيناه في كتاب دين الله . وهناك فرق بين قولك (جئت مصدقا لقول فلان) وقولك (أنا مصدق بقوله) فمعنى الاول أن فلانا أخبر بهجيتك فجئت مصدقا لاخباره عنك ومعنى الثاني أنك تؤمن بقوله وتصدقه ، ولم يرد في القرآن مطلقا أنه قال إنه هو أو محمد (ص) جاء مصدقا بما معهم . (راجع أيضا صفحة ١٧٦ من هذه الرسالة)

وإذا سلمنا أنه لا فرق بين قول القرآن (مصدق لما معهم) وبين أن يقول (مصدق بما معهم) فليست العبارة نصا على أنه مصدق بكتبهم هذه التي معهم إذ لم يذكر فيها لفظ «الكتب» ولا يجوز أن يكون القرآن مصدقا بجميع ما معهم من دينهم لأنه رد عليهم في كثير منه. فمعين إذاً أن يكون المراد أنه مصدق ببعض ما معهم، وهذا حق فإن القرآن يوافق دينهم في كثير من عقائده وآدابه وتعاليمه، فدين

(المنار-ج ١١) (١٠٥) (المجلد السادس عشر)

الاسلام أقرب الاديان اليهم ومع ذلك هم نفروا منه ورفضوه بأشد مما يرفضون الوثنية كما هو مشاهد حتى هذا اليوم. ويجوز أن يكون المراد مصدق بأن أصل ما معهم من الله وأن فيه أشياء كثيرة صالحة للناس ونافعة لهم وموروثة بينهم عن أنبيائهم وأما قوله تعالى (لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه) فالمراد به أن قصص القرآن ليست مخترعة ولا مقترأة بدليل وجود أمثالها بين الناس قبل نزوله ، فهي وإن اختلفت قليلا في بعض التفاصيل أو الجزئيات عما يرويه الناس إلا أنها توافقها في الجملة وتصدقها في الجوهر ، فلا تغفلوا أيها المشركون أن النبي اخترعها بعقله بل أسألوها أهل الكتاب تجدوا أنها موروثة بينهم ومروية في كتبهم. فوجود قصص القرآن عند الناس من قبل لا يضيف حجته كما يتوهم المبشرون بل هو من أعظم ما يصدقه ويؤيده ولذلك ترى القرآن نفسه يستدل بها على كونه من عند الله لأن النبي لم يطلع على كتب أهل الكتاب ولا يستنتجن القاري من هذه الآية أن قصص القرآن يجب أن لا تختلف عن قصص التوراة والانجيل في شيء مّا . كلا ! إذ لو كان هذا الاستنتاج صحيحا لما قال تعالى (ان هذا القرآن يقصص على بني اسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون) فقصصه قد تختلف عما عندهم وتبين لهم حقه من باطله . فلا منافاة بين تصديق القرآن لقصصهم في الجملة ومخالفته لها في بعض الجزئيات كما قلنا ويجوز أن يكون المراد بقوله (تصديق الذي بين يديه) تصديق الحق الذي عندهم لا كل الذي عندهم والا لدخل في ذلك عقائدهم الفاسدة وأوهامهم وخرافاتهم وغيرها مما جاء القرآن لازاته ومحققه ، ويستحيل أن يكون مصدقا لما جاء لا بطلاله ، فتنبه لذلك ولا تكن من الغافلين

أما استدلالهم على عدم تحريف كتبهم بما في سورة المائدة ونحوها من مدح التوراة والانجيل وأمر أهلها بالحكم بهما . فهاك بيان ما اشتبه عليهم من آيات هذه السورة : قال تعالى (إنا أنزلنا التوراة) وهي شريعة موسى (فيها هدى ونور) وهو أمر لا ننكره ونؤمن به ، ولكنه لا يفيد المبشرين شيئا في إثبات دعواهم (يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار) وهم معلمو شريعة

(المنار-ج ١١ م ١٦) معنى أمر الله بالعمل بالتوراة والانجيل ٨٣٥

اليهود وعلماءها ، يحكمون ويفتون ويقضون (بما استحفظوا من كتاب الله) بما طلب منهم المحافظة عليه من التوراة ، وفيه دليل على أن بعض أحكام التوراة كانت مؤقتة ولم يطلب منهم المحافظة عليها فهم إنما يحكمون بما لم ينسخ منها (وكانوا عليه شهداء) أي رقباء يملكون أنه لم يحرف لشهرته بينهم وتواتره ، فعملوا اليهود وعلماءهم الصالحون لا يفتنون ولا يقضون إلا بما لم ينسخ من شريعتهم وما لم يحرف منها لشيوعه وتداوله وتواتره بين الناس بالعمل به . ولا كانت شريعتهم صالحة لزمهم ونافعة لهم قال الله تعالى لهم (فلا تخشوا الناس واخشون) الخ وذلك لأن كثيرا منهم كانوا لا يبالون بالتوراة ويحرفونها ، ويقاومون المصلحين ، ويقتلون النبيين (عب ١١ : ٣٧) ويشركون ويرتدون ، ولولا علم موسى ذلك عن طباعهم ما قال لهم ما قال (راجع مثلا سفر التثنية أصحاب ٢٨-٣١) ثم قال الله تعالى (وقفينا على آثارهم بقبيسي بن مريم ٠٠٠ وآتيناهم الانجيل ٠٠٠٠٠٠) وكما قال تعالى لا تباع موسى لا تخشوا الناس واخشون الآية قال أيضا لا تباع عيسى (وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه) وإنما خص أهل الانجيل بالذكر لبيان أن الانجيل لم ينزله الله للأمم كافة كما يزعمون وليست شريعته باقية لكل زمان . وقد بينا أن بعثة عيسى كانت خاصة بالأمة اليهودية (في صفحته ١٩٣ و ١٩٤) وحذف لفظ « القول » في القرآن كثير كما في قوله تعالى « لمن المالك اليوم ؟ لله الواحد القهار » وقوله (فأرسلون ، يوسف أيها الصديق) وغير ذلك مما يعرفه المطلعون على أساليبه وتراكيبه ، فكذلك هنا حذف لفظ « قلنا » قبل لفظ « ليحكم » . وفي قراءة حمزة - وهي من اقراءات السبعة المتواترة بين المسلمين - (وَلِيَحْكُمَ) بكسر اللام وفتح الميم ، والمعنى آتينا عيسى الانجيل ليحكم به أهله وهم الذين بعث اليهم من بني اسرائيل (وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه) أي شاهدا على ما فيه من الحق والباطل ، ولا يدل ذلك على أنه يمنع تحريمه كما زعم بعضهم فإن الشاهد على أي شيء كالجرائم ونحوها ليس من شأنه أن يمنع مرتكبيها منها وإنما هو يقرر أمام القضاء ما ناله عنها . وقد توسعنا في بيان ذلك في كتاب دين الله (في حاشية صفحة ٨٤ و ٨٥) فراجع ان شئت (فاحكم بينهم يا محمد » بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم) بأن تعمل بما في كتبهم فانهم كتبوها كما شاءوا وشاءت

أهواؤهم وابقوا فيها من شرائع الله ما وافق أميالهم وأغراضهم حتى اختلط فيها الحق بالباطل. زد على ذلك أننا (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) فأننا وضعنا لكل أمة سابقة ولا حمة طريقة وشرعية توافق مصالحها وقد تخالف مصالحها غيرها فلا تعمل إلا بما أنزلناه إليك فان شرعهم - حتى السالمة من التحريف والتبديل - فيها ما لا يوافق امتك ولا يناسب حالها (ولو شاء الله لجمعكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات) أي لتسارع كل أمة من السابقين واللاحقين في طريق الطاعات وعمل الخيرات ، وهذا الكلام كما قيل لنا قيل أيضا لكل الامم الفائرة فان الجميع طولوا بعمل الطيبات الصالحات والمبادرة الى طاعة الله تعالى والتسابق فيها مع الامم الأخرى المعاصرة لهم أو بعضهم مع بعض (الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) بعضكم مع بعض أو بعض الامم السابقة بمن أدركوه من الامم اللاحقة . ثم قال تعالى (وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فان تولوا فاعلم انما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيرا من الناس لفاسقون) فأى شيء في هذه الآيات يدل على عدم تحريف التوراة والانجيل مع أنها صريحة في عكس ذلك وفي نسخها والامر بعدم الالتفات اليها بعد القرآن ؟ ألا ان الغرض يسمى ويهم !!

وأما قوله تعالى (قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم) الآية فمعناها هكذا (لستم على شيء) يصح أن يقال له دين أو يمتد به (حتى تقيموا) أي تعملوا طبق الواجب بأحكام (التوراة والانجيل) وتحبوا شرائعها وتطيعوا أوامرها وتذنبوا بنواهيها فان الاقامة هي الاتيان بالعمل على أحسن أوجهه كاقامة الصلاة مثلا أي فعلها على الوجه اللائق بها ولا يدخل في ذلك القصص التي في التوراة والانجيل ولا العقائد ونحوها فانها ليست عملية . والمراد ان يعملوا بما بقي عندهم من أحكام التوراة والانجيل على علته وعلى ما به من نقص وتحريف وزيادة فان شرائع هذه الكتب وأوامرها ونواهيها هي أقل أقسامها تحريفا . وأكثر التحريف في القصص والاخبار والعقائد وما ماثلها وهي لا تدخل في الامر بالاقامة ، ولا شك ان أحكام التوراة والانجيل

(التار-ج ١١ م ١٦) حث القرآن على العمل بالتوراة والانجيل ٨٣٧

وما فيها من شرائع ومواعظ ونصائح ونحوها لا تزال فيها أشياء كثيرة لا عيب فيها وذات فائدة للبشر وفيها هداية عظيمة للناس فهي مما يدخل تحت قوله تعالى (وأزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس) فإذا أقام أهل الكتاب أحكامهما على علائقها كانوا لا شك على شيء يعتد به ويصح أن يسمى ديناً وإذا لم يقيمه وهما وجروا على خلافهما كانوا مجردين من كل شيء يستحق أن يسمى ديناً وكانوا مشاغبين معاندين وبدنيهم غير مؤمنين إيماناً كاملاً. وهذه قضية صحيحة لا يشك فيها عاقل وهي المعنى المتبادر من الآية، فأني شيء في هذا المعنى يدل على عدم تحريف التوراة والانجيل وعلى وجودهما عند أهلها كامليين وخصوصاً بعد قوله تعالى كما سبق في اليهود والنصارى (ونسوا حظاً مما ذكروا به) . فلا يـة تشبه قوله تعالى (وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين) أي (وكيف يحكمونك) وهم لا يمتدنون صدقك وصحة نبوتك (وعندهم التوراة فيها حكم الله) في المسألة التي تحاكموا فيها إلى النبي وهو حكم الله بحسب اعتقادهم أو بحسب الحقيقة ووجود هذا الحكم الخاص فيها لا ينافي القول بوجود أشياء أخرى كثيرة فيها محرفة، وسماها (التوراة) أما باعتبار عرفهم - كما نسميها نحن الآن وكما نسمي معبودات الوثنيين « بآلهتهم » ودعاة النهرانية « بالمشركين » - أو باعتبار أصلها أو لاشتمالها على أشياء كثيرة من التوراة الحقيقية ، ولولا ذلك ما صح أن نسمي هذه الكتب بالتوراة والانجيل مع اعتقادنا بتحريفها وتبديلها وعدم صحة كثير من أجزائها وكتبها (ثم يتولون من بعد ذلك) بعد أن حكمت لهم بعين الحكم الذي عندهم في توراتهم التي يدعون الإيمان بها ويمتدنون صحتها (وما أولئك بأؤمنين) بك ولا بكتبهم وإنما هم قوم مشاغبون معاندون متلاعبون مستهزئون لا يخافون الله ولا يخشون عقابه في الدنيا والآخرة لفساده قلوبهم وخلوها من الإيمان الصحيح، ولذلك لا يبالون بما خالف أهواءهم ولو كان في كتبهم المقدسة عندهم ولنا أن نقول أيضاً: إن معنى تلك الآية (لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل) الحقيقيين ، وذلك يستلزم البحث والتنقيب والجد والاجتهاد في نقد ما عندهم منها نقداً علمياً عقلياً تاريخياً صحيحاً حتى يستخلصوا حقيقتها من باطلها بقدر الإمكان

كما يفعل علماء الأفرنج الآن ، ونتيجة ذلك العناء كله أن يكونوا على شيء من الدين الحق وهذا أمر لا شبهة فيه . ولو اتبعوا القرآن لأراحوا واستراحوا، ولكنهم كما قال تعالى لا يزيدهم القرآن إلا طغيانا وكفرا ، وحسدا وعنادا ، فلا يؤمنون به ولا يهتم جمهورهم بإصلاح دينهم من المفاصد وتنقيته من الشوائب، فلم يدركوا خير هذا ولا ذلك . فكأن الآية تزيهم أنهم إذا لم يذهبوا القرآن يجب عليهم القيام بمسئلة ثبيل جدا من البحث والتحصيل وبعد ذلك يكونون على شيء من الحق لا على الحق كله ولو أقاموا التوراة والإنجيل الحقيقيين غاية الإقامة ، فما بالك إذا كان ذلك مستحيلا لعدم وجودهما على حقيقةهما؟ فهم ليسوا على شيء مطلقا ولا يمكن أن يكونوا عليه ، فإن كتبهم قد صارت خلفة بالية ، لذلك قال رسول الله لعمر - حينما رأى ورقة من التوراة بيده - « ألم آتكم بها بيضاء نقية ؟ والله لو كان موسى حيا ما وسمعه إلا اتباعي » (أنظر كتاب « انتقاد كتاب تاريخ التمدن الاسلامي » صفحة ٥٦ و ٥٧)

فان قيل وكيف يحثهم الله على العمل بأي شيء من دينهم ومنه ما جاء القرآن فاسخا له ؟ قلت لا شك أن كل عقل مهما كان دينه يقول كما قال القرآن، فانه خير لأهل الكتاب ولنا وللعالم أجمع أن يعملوا بشرائع دينهم فانهم حينئذ يتجنبون الكذب والتعريف والعناد والأذى والافساد في الارض واهلاك الحرث والنسل والزنا وغير ذلك مما يعمل به الناس لولا اتباع الدين ولذلك يقول العقلاء جميعا « ثق بالمؤمنين ولو كان على غير دينك » فراد القرآن - على التفسير الاول للآية - حثهم إن أصروا على عدم الإيمان به (١) على العمل بدينهم على الأقل ليستريح النبي وأتباعه من أكثر ضرورهم وذنائبهم . ولكن هل بعد العمل بدينهم يكونون على الدين الحق الكامل أم لا ؟ فالذي يفهم من الآية أنهم يكونون على شيء من الدين وهو - لا شك - خير من لا شيء ، ولا يفهم أنهم يكونون على الحق كله وعلى الدين الكامل الذي لا غاية أعظم منه فان ذلك لا يكون إلا بالاسلام (أفصح دين الله يعنون وله أسلم من في السموات والارض طوعا وكرها واليه يرجعون)

(١) كما ينبغي عنه قوله في آخر هذه الآية (ولينادي كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم السافرين) الدكتور محمد توفيق صدقي

(المنار-ج ١١م ١٦) انتشار مقالة الجهمية بواسطة (المتزلة) ٨٣٩

تاريخ الجهمية والمعتزلة^{*}

(٤) انتشار مقالة الجهمية بواسطة كبار المعتزلة وغيرهم

قال الامام ابن تيمية : لما كان بعد المائة الثانية انتشرت المقالة التي كان السلف يسمونها (مقالة الجهمية) بسبب بشر بن غياث المريسي وذويه (ثم قال) وهذه التأويلات الموجودة اليوم بأيدي الناس مثل أكثر التأويلات التي ذكرها ابو بكر بن فورك في كتاب (التأويلات) وابو عبد الله محمد بن عمر الرازي في كتابه الذي سماه (تأسيس التقديس) ويوجد كثير منها في كلام غير هؤلاء مثل أبي علي الجبائي وعبد الجبار بن احمد الهمداني وأبي الحسين البصري وغيرهم ، هي بعينها التأويلات التي ذكرها بشر المريسي في كتابه ، كما يعلم ذلك من كتاب الرد الذي صنفه عثمان بن سعيد الدارمي احد الأئمة المشاهير في زمن البخاري ، وسمى كتابه (رد عثمان بن سعيد ، على الكاذب الغنيد ، فيما افترى من التوحيد) فانه حكى هذه التأويلات باعيانها عن بشر المريسي ثم ردها ، ويعلم بمطالعة كتابه ان هذا القول الساري في هؤلاء المتأخرين الذين تسموا بالخلف هو مذهب المريسية إله .

وقال الحافظ الذهبي في ميزان الاعتدال في ترجمة بشر المريسي : انه تفقه على أبي يوسف فبرع ، واتقن علم الكلام ، ثم جرد القول بخناق القرآن وناظر عليه ، ولم يدرك الجهم بن صفوان ، انما اخذ مقالته ، واحتج لها ودعا اليها إله

(*) تابع لما نشر في ج ١٠ م ١٦ ص ٧٤٥

٨٤٠ ظهور دولة الجهمية (المتزلة) في عهد المأمون (المنار-ج ١١ م ١٦)

(٥) ظهور دولة الجهمية (المتزلة) في عهد المأمون، ودعوته الى مذهبهم وما

جرى على المشاهير في مسألة خلق القرآن

من سنن الاحزاب والفرق في هذا الكون، أن كل حزب قويته
عصبته وعصبيته يتناول الى الغلب، ويتطال على التغلب، فيصرف
مستطاعه لهذه السبيل، ويسعى جهده لتأييده من اي طريق امكن، ابتغاء
انقراذه، وتكثير سواده، فاذا اتبع لمصبة ما ان تمدها قوة سلطان قاهر،
وجبار مستبد، وجد لها من نفوذ الكلمة وانتشار الدعوة، وكثرة الاعوان،
ما تبلغ به اقصى امانيتها، والناس على دين ملوكهم يين راعب في حطامهم،
أو مقلد يتبع كل ناعق

وقد عرف الخليفة (المأمون) بمحبته للعلم والعلماء، وشغفه في الحكمة
والحكماء، بل لم ير في اولاد الملوك من تمشق العلوم الحكيمية على حداثة
سنه، واقام بين العلماء لمناظرتهم في جميع انواع العلوم مثله، فمادخل عليه مرة
الا وأتني في مجلس من العلماء والادباء. وقد ورث ذلك عن ابيه (الرشيد)
فقد كان العلماء والادباء لا يفارقونه في حضر ولا في سفر، حتى أنه يطلب
شاعره في أطراف الليل فيجده يبابه مع غيره من محدث أو نديم. وانما
قرب العلماء الى الرشيد ما بنفسه من الميل الى الأدب، والحرص على احراز
العلوم، حتى كانوا اذا اجتمعوا بداره سما الى مناظرتهم من حيث العلم
والتواضع له، لا من حيث السيادة عليهم، وهو بموضعه الجليل من
الخلافة. وكان من الفضل بحيث ان مادبه لم تخل قط من عالم أو أديب
أو شاعر. وبلغ به التواضع لهم ان معاوية المحدث الضريع كان اذا جالس
الى طعامه قام الرشيد من موضعه وصب الماء على يده تعظيما لقدر العلماء،

(النار- ج ١١ ص ١٦٦) أحمد بن أبي دؤاد وحظوته عند المأمون قاله نصم ٨٤١

فقال له معاوية: يا أمير المؤمنين إن تواضعك في شرفك لأشرف من شرفك، وكانت همة الرشيد مصروفة إلى ترجمة كتب الفلاسفة من يونان وغيرهم بعد أن رأى جعفرًا وزيره يتابع من صحفهم ما يأمر الترجمة بتعريبه، ثم يطهرون زنة الكتاب المعرب ذهبًا، لأن سوق العلم كانت نافقة عند البرامكة، وقد استنهضوا هم العلماء إلى تعريب صحف الأعاجم، فنافسهم الرشيد في ذلك، إذ كان في نفسه من الميل إلى الأدب، والتشوق إلى الاطلاع على كنوز الحكمة ما عرف، فاقصد رسله في إحراز الاسفار القديمة، وأمر بتعريبها^(١) وأخبره في العلم ومحاضرات العلماء كثيرة ولما افضت الخلافة إلى ابنه (المأمون) اقتدى بآبيه أو أربى عليه، فطارت شهرته في العلم والفلسفة، إلى أن حظي بقربه أحمد بن أبي دؤاد^(٢) وكان ابتداء اتصاله به أنه قال: كنت أحضر مجلس القاضي يحيى بن أكرم مع الفقهاء، فاني عنده يوما إذ جاءه رسول المأمون، فقال له: يقول لك أمير المؤمنين انتقل إلينا جميع من معك من أصحابك، فلم يجب أن أحضر معه، ولم يستطع أن يؤخرني، فحضرت مع القوم، وتكلمنا بحضرة المأمون فأقبل المأمون ينظر إلي إذا شرعت في الكلام، ويتفهم ما أقول ويستحسنه، ثم قال لي: من تكون؟ فانتسبت له، فقال: ما أخرجك عنا؟ فكرهت أن أحيل على يحيى فقلت: حبسة القدر وبلوغ الكتاب أجله، فقال لا أعلم ما كان لنا من مجلس إلا حضرته فقلت: نعم يا أمير المؤمنين

(١) عن كتاب حضارة الاسلام

(٢) بضم الدال وفتح الهزة الممدودة بعده، على وزن فؤاد

(النار- ج ١١) (١٠٦) (المجاد السادس عشر)

٨٤٢ أحمد بن أبي دؤاد إقناعه المأمون بخلق القرآن (المنار-ج ١١ م ١٦)

وقيل: قدم يحيى بن اكنم قاضيا على البصرة من خراسان من قبل المأمون آخر سنة (٢٠٢) وهو حدث سنة نيف وعشرون سنة ، فاستمع به جماعة من اهل العلم والروايات ، منهم ابن أبي دؤاد ، فلما قدم المأمون بغداد في سنة (٢٠٤) قال ليحيى : اختر لي من اصحابك جماعة يجالسوني ويكثرون الدخول الي ، فاختر منهم عشرين فيهم ابن ابي دؤاد . ثم قال : اختر منهم ، فاختر خمسة فيهم ابن ابي دؤاد ، وانصل امره ، واسند المأمون وصيته عند الموت الى اخيه (المتصم) وقال فيها : « وابو عبد الله ابن ابي دؤاد لا يفارقك ، أشركه في المشورة في كل امرك ، فانه موضع ذلك ولما ولي (المتصم) الخلافة ، جعل احمد بن ابي دؤاد قاضي القضاة ، وعزل يحيى بن اكنم وخص به احمد ، حتى كان لا يفعل فعلا باطنا ولا ظاهرا الا برأيه

وكان ابو العيناء يقول ^(١) : ما رأيت رئيسا قط أفصح ولا أنطق من ابن ابي دؤاد ، وكان اخذ عن واصل بن عطاء مسائل الكلام حتى تضلع من الكلام ، واصبح داعية اليه ، فلما انصل بالمأمون دس له القول بخلق القرآن ، وحسنه عنده ، وصيره يشقه حقا مينا ، الى أن أجمع رأي المأمون في سنة (٢١٨) على الدعاء اليه ، فكتب الي نائبه على بغداد اسحق ابن ابراهيم الخزاعي ابن عم طاهر بن الحسين في امتحان العلماء كتابا يقول فيه :

« وقد عرف أمير المؤمنين ان الجمهور الاعظم ، والسواد الاكبر ، « من حشو الرعية ، وسفلة العامة ، ممن لا نظره ولا روية ، ولا استضاء »

(المنارج ١١م ١٦) كتاب المأمون في المحنة بخلق القرآن ٨٤٣

« بنور العلم وبرهانه ، أهل جهالة بالله ، وعمى عنه ، وضلالة عن حقيقة »
« دينه ، وقصوران يقدروا الله حق قدره ، ويعرفوه كنه معرفته ، ويفرقوا »
« بينه وبين خلقه ، وبين ما انزل من القرآن ، فاطبقوا على انه قديم لم »
« يخلق الله ويخترعه ، وقد قال تعالى « انا جعلناه قرآنا عربيا » فكل ما »
« جعله فقد خلقه »^(١) كما قال : « وجعل الظلمات والنور » وقال « نقص »
« عليك من أنباء ما قد سبق » فاخبر انه قصص لا مور احده بمدها ، »
« وقال « احكت آياته ثم فصت : والله محكم آياته ومنفصله ، فهو خالقه »
« ومبتدعه ، ثم انتسبوا الى السنة ، وانهم أهل الحق والجماعة ، وان من »
« سواهم أهل الباطل والكفر ، فاستطالوا بذالك وانغروا به الجهال ، حتى »
« مال قوم من أهل السمات الكاذب ، والتخضع لغير الله ، الى موافقتهم ، »
« فترعوا الحق الى باطلهم ، واتخذوا من دون الله وليجة الى ضلالهم »
الى أن قال

« فرأى أمير المؤمنين ان اوائلك شر الامة ، المنتقوصون من التوحيد
حظا ، أوعية الجهالة ، واعلام الكذب ، ولسان الباطل الناطق في

(١) التفريع بالكلية انما يصح في مادة جعل بمعنى خلق كآية « وجعل لكم
السمع والابصار - وجعل الظلمات والنور » لا في جعل بمعنى صير ، ففرق بين المصنوع
الخالق والتصيير ، فكما ورد في التنزيل جعل بمعنى خلق ، فقد ورد بمعنى صير ،
ومنه آية « انا جعلناه قرآنا عربيا » اي صيره قرآنا عربيا وأنزله بلغة العرب ولسانها ،
ولم يصيره أعجميا فينزهه بلغة المعجم ومنه آيات « ياد اودانا جعلناك خليفة في الأرض -
وجعلوه من المرسلين - جعله دكا - ربنا واجعلنا مسلمين لك - رب اجعل هذا البلد آمنا »
وامثالها مما الجمل فيه بمعنى التصيير البتة . وليس كتابنا هذا للمناقشة والتصحيح ،
فلا نطيل بذلك

٨٤٤ كتاب المأمون في المحنة بخلق القرآن (المنار-ج ١١ م ١٦)

أوليائه ، والهائل على أعدائه ، من أهل دين الله . واحق ان يتهم في صدقه ، وتطرح شهادته ، ولا يوثق به من عمي عن رشده وحظه من الايمان بالتوحيد ، وكان عما سوى ذلك أعمى وأضل سبيلا ، ولعمري أمير المؤمنين أن أ كذب الناس من كذب على الله ووحيه ، وتحرص الباطل ، ولم يعرف الله حق معرفته ، فاجمع من بحضرتك من القضاة ، فاقرا عليهم كتابنا ، وامتنعهم فيما يقولون ، واكشفهم عما يمتقدون في خلق الله واحداً ، وأعلمهم اني غير مستعين في عمل ، ولا واثق بمن لا يوثق بدينه ، فاذا اقروا بذلك ووافقوا فرم بنص من بحضرتهم من الشهود ، ومسألتهم عن علمهم في القرآن ، وترك شهادة من لم يقر أنه مخلوق ، واكتب لنا بما يأتيك عن قضاة أهل عملك في مسائلهم والامر لهم بمثل ذلك ،

هذه صورة كتاب المأمون في المحنة ، وقد ذيله بأشخاص كبار فقهاء بغداد وأئمة الاثر والرواية ، وتم الامر بالمحنة التي طار شررها وطل ضررها ، واشتهر من بين رجالها (الامام احمد بن حنبل) رحمه الله ورضي عنه ، ولها في التاريخ ذيل طويل ، ومن استوفى اطرافها التاج السبكي في طبقاته ، فايرجم اليها المستزيد

ثم موضع الغرابة من كتاب المأمون ، هو حمل الناس على غير ما يمتقدون ، واكراههم على امر لم تمتص به سنة ، ولم يجدوا فيه برهاناً من أنفسهم ، مع أن الاكراه على أصل الأصول ، ومابه المصمة والنجاة ، — وهو الدين الخالص — قد اباه الشرع ونهى عنه في غير ما موضع من التنزيل الكريم ، كآية «لا اكراه في الدين» وآية «أفأنت تُكفره الناس

(المنار- ج ١١ م ١٦) اضطهاد المؤمن للأثرية نتيجة اضطهادهم للجهمية ٨٤٥

حتى يكونوا مؤمنين» وآية (وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) ولكن سكرة الدولة، وانتقال الرأي عقيدة بالتسليم والتقليد، وعظم الطول والقدرة، كل ذلك يحول دون الانصاف والاعتدال غالباً وقد يظن ان ما اذاقه المؤمن من الاضطهاد لرجال محنته، كان

باعثه ما اشار اليه في رسالته من نبر من اضطهادهم لجماعته بالكفر والضلال، واشاعتهم ذلك بين العامة، اذ قال في رسالته المتقدمة اعذاراً لمن يلم به الملام «تم اتسبوا الى السنة، وانهم أهل الحق والجماعة، وأن من سواهم أهل الباطل والكفر، فاستطالوا بذلك واغروا به الجهال» وجلي انه لا يطبق الصبر على هذا فئة رأسهم في هذا المعتد الخليفة فقضاته ووزرائه نعم قد يمكن ان يكون ذلك من بواعثه، وقد يكون انتقاماً من

اضطهاد سابق، ومقابلته بالمثل في جزاء الاعتداء بنظيره، اذ كان للأثرية دولة في عهد الامويين وصدرأمن الخلافة العباسية، وكانت اقوالهم في تكفير مخالفينهم من الجهمية، ورميهم بالزندقة، وهدر دمهم، تفري بهم، وتُحفظ الامراء عليهم، وتستفز ذوي البطش منهم على الايقاع بهم، كما يدري ذلك من سبر أقوالهم في الجهمية، ولم يكن قتل الجعد بن درهم وغيلان الدمشقي، بل ومثل محمد بن سبيد الشامي المصلوب^(١) الا من جراء مقالاتهم فيهم، والتاريخ ابو العجب

وقد كان بدء المحنة بالقول بخناق القرآن سنة (٢١٨) الى ان افضت

(١) أنهموه بالزندقة، واغروا به ابا جعفر المنصور، فصلبه، مع ان غاية ما رمي به انه كان يضع الحديث، ومع ذلك فقد روى عنه اثوري ومروان الفزاري وابو معاوية والحاربي وآخرون، وقد غيروا اسمه على وجوه ستراً له. انظر بسط ترجمته في ميزان الاعتدال للذهبي

٨٤٦

واصل بن عطاء أول المعتزلة (المنار-ج ١١ م ١٦)

الخلافه الى المتوكل . فأمر سنة (٢٣٤) بترك النظر والمباحثه والجدال وترك ما عليه الناس في ايام المعتصم والواثق من القول بخلق القرآن، وأمر الناس بالتسليم والتقليد، وأمر الشيوخ المحدثين بإظهار السنة والجماعة. ولكل زمان دولة ورجال .

قال نابغة البلقاء أبو بكر الخوارزمي في إحدى رسائله : ليس من فرق الاسلام فرقة ، الا وقد هبت لاهها رويحة ، ودلت لها دولة ، كما اتفق المختار بن عبيد الله الكيسانية ، ويزيد بن الوليد للفيلائية ، وابراهيم ابن عبيد الله للزيدية، والمأمون لسائر الشيعة ، والمعتصم والواثق للمعتزلة، والمتوكل للنواصب والحشوية إهـ

(٦) اول من صنف من المعتزلة في محاجة الاثرية

قال السفاريني في شرح عقيدته : معظم خلافيات علم الكلام مع الفرق الاسلامية خصوصاً المعتزلة ، لانهم اول فرقة اسسوا قواعد الخلاف ، لما ورد به ظاهر السنة ، وجرى عليه جماعة الصحابة رضي الله عنهم . فأول من صنف في علم الكلام والجدال والخصام مع أهل السنة والجماعة أبو حذيفة واصل بن عطاء ، وهو رئيس المعتزلة واول من سمي معتزلياً، وله من التصانيف كتاب المنزلة بين المنزلتين وكتاب الخطب في العدل والتوحيد، وكتاب السبيل الى معرفة الحق، وكتاب معاني القرآن، وكتاب ماجرى بينه وبين عمرو بن عبيد ، وكتاب التوبة ، وله غير ذلك ، وكانت ولادته سنة (٨٠) وتوفي سنة (١٣١)

قال ابن خلكان : كان واصل أحد الأئمة البلقاء المتكلمين وكان في أيام

عبد الملك وهشام بن عبد الملك ، — كما حكاه الشهرستاني

(المنار - ج ١١ م ١٦) القدرية المعتزلة وسبب تسميتهم بذلك ٨٤٧

ومثله في السبق الى التصنيف في ذلك عمرو بن عبيد — من كبار أئمة المعتزلة له كلام كثير في العدل والتوحيد على اعتقاد المعتزلة توفي سنة (١٤٣) قال الذهبي في الميزان : كان المنصور — الخليفة الشهير — يخضع لزهد عمرو وعبادته ويقول : كلسم يطلب صيد * غير عمرو بن عبيد

* *

(٧) تلقب المعتزلة بالقدرية وسبب التسمية بذلك

قال الشهرستاني : المعتزلة يسمون اصحاب العدل والتوحيد ويلقبون بالقدرية : وذلك لاسنادهم افعال العباد لقدرهم وانكارهم القدر فيها موافقة لرأي معبد الجهمي ، وغيلان الدمشقي القدرين

وقال ابو منصور البغدادي في كتاب (المرق) في تعداد المسائل التي اتفق عليها القدرية المعتزلة : ومنها قولهم جميعا بان الله تعالى غير خالق لا كساب الناس ، وان الناس هم الذين يتقرون اكسابهم ، وانه ليس لله تعالى في اكسابهم صنع ولا تقدير ، ولا جل هذا سماهم أهل السنة قدرية اه وقال ابن الاثير : سموا قدرية لانهم اثبتوا للعبد قدرة توجد الفعل باشرادها واستقلالها دين الله تعالى ، ونفوا ان تكون الاشياء بقدر الله وقضائه . وقد قالوا لمخالفيهم انهم الأولى بتسمية القدرية ، لانكم تجعلون الاشياء جارية بقدر من الله ، ومثبت الشيء احق بالنسبة اليه من نافية ، فاجابهم المبتوتون بان مثبت الشيء لنفسه أولى بالنسبة اليه ممن نفاه عن نفسه اه وقال الامام ابن تيمية : في آخر عصر الصحابة حدثت القدرية ، واصل بدعهم كانت من عجز عقولهم عن الايمان بقدر الله ، والايمان بامرهم ونهيهم ، ووعدده ووعيده ، وظنوا ان ذلك ممتنع ، وكانوا قد آمنوا بدين

٨٤٨ التقديرية المتميزة وسبب تسميتهم بذلك (المنار - ج ١١ م ١٦)

الله وأمره ونهيه، ووعدده، ووعيده، وظنوا أنه إذا كان كذلك لم يكن قد علم قبل الأمر من يطيع ومن يعصي، لأنهم ظنوا أن من ظلم ما سيكون، لم يحسن منه أن يأمر وهو يعلم أن المأمور يعصيه ولا يطيعه، وظنوا أيضاً أنه إذا علم أنهم يفسدون لم يحسن أن يخفق من يعلم أنه يفسد، فلما بلغ قولهم بإنكار القدر السابق للصحابة أنكروا إنكاراً عظيماً وتبرؤا منهم، حتى قال عبد الله بن عمر: أخبر أولئك أني بريئ منهم وأنهم مني براء، والذي يناف به عبد الله بن عمر، لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فاتفقه ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر. وذكر عن أبيه حديث جبريل، وهذا أول حديث في صحيح مسلم، وقد أخرجه البخاري ومسلم من طريق أبي هريرة أيضاً مختصراً ثم كثرت الخوض في القدر، وكان أكثر الخوض فيه بالبصرة والشام وبعضه في المدينة. فصار مقتصدوهم وجمهورهم يقرون بالقدر السابق وبالكتاب المتقدم، وصار نزاع الناس في الإرادة وخلق أفعال العباد، فصاروا في ذلك حزينين، النفاة يقولون: لا إرادة إلا بمعنى المشيئة، وهو لم يرد إلا ما أمر به، ولم يخلق شيئاً من أفعال العباد. وقابلهم الخائضون في القدر من المجبرة مثل الجهم بن صفوان وأمثاله، فقالوا: ليست الإرادة إلا بمعنى المشيئة، والأمر والنهي لا يستلزم إرادة، وقالوا: العبد لا فعل له البتة ولا قدرة، بل الله هو الفاعل القادر فقط. وكان جهم مع ذلك ينفي الأسماء والصفات إله

(لها بقية)

(المنار - ج ١١ م ١٦) بيان حزب اللامركزية الأمة العربية ٨٤٩

بيان للأمة العربية من حزب اللامركزية*

من المعلوم أن الأمة العربية المستظلة براية المهلال العثماني من أخصاص الامم للدولة العلية وأشدّها استمساكا بعروة الجامعة العثمانية وقد مضت على هذه الأمة قرون عانت فيها ضروبا من المحن والمصائب بسبب الادارة السيئة التي أنتجها الحكم المطلق في المملكة العثمانية وهي صابرة على ذلك بحكم الجهل الذي كان غميا عليها وعلى كل الشعوب العثمانية وراضية بما يصيبها من الجور رغبة في بقاء الرابطة التي تربط الشعوب العثمانية بالدولة العلية وتقيها شر التفرق المفضي الى ضياع المملكة واقتسامها بين الطامعين فيها من دول الاستعمار

صبرت الشعوب العربية العثمانية على ذلك طويلا وللصبر حد ينتمى اليه. ولما رأت هذه الشعوب أن الالتجاء الى رابطة عامة قد دخلها الوهن ، والسكوت على مرض بلغ حد الاعضال ليس من الاخلاص للدولة التي يودون بقاءها في شيء ، وان الاخطار التي ألمت بالمملكة فذهبت بقسم عظيم منها بسبب سوء الادارة وفساد الحكم تهددهم بمثل ما أصاب غيرهم لاحالة - هب عقلاؤهم والمفكرون فيهم الى البحث عن أقرب الطرق المؤدية الى السلامة ، فصاح بهم اليأس بنذرهم فوات الوقت ودنو ساعة الخطر ، فلم يجدوا الى نلّوبهم منفذاً ، بل رأوا ان اليأس استسلام للهلاك فنبذوه ، نظروا فرأوا ان أدواء الوطن والأمة كثيرة ترجع كلها الى أمر واحد هو شكل الادارة التي تدار بها المملكة ، ذلك الشكل الذي مضى عليه مئات من السنين لم يخطط فيها بالأمة والدولة الى الامام بينما الممالك الاخرى تسير في طرق الترقى والمدنية سير السابق المجد ، بل أصبحت المملكة العثمانية في أخريات الممالك ثروة وقوة وعمراناً ، بل هي لا تكاد تكون بالنسبة الى أصغر الممالك الاوربية شيئاً مذكوراً ذلك بأنه مامن ولاية من ولاياتها تستطيع أن تعمل لنفسها بنفسها عملاً نافعاً لها موحباً لعمرانها ، جالبا لثروتها ، فتمهيد الطرق واقامة القناطر والجسور ومد السكك الحديدية وتخفيف المستنقعات واستخراج المعادن وتسيير مركبات الترام وتنوير المدن بالكهرباء وغيرها وتأليف الشركات واستثمارها المرافق البلاد ونشر التعليم وانشاء المدارس وما شابه ذلك من أسباب الارتقاء والثروة والعمران

* نشر حزب اللامركزية هذا البيان بالتاريخ الذي يراه القراء في آخره. وستكلم عنه في موضع آخر

٨٥٠ بيان الأمة العربية من حزب اللامركزية (المنار-ج ١١ ص ١٦م)

— كله منوط بعاصمة الملك متوقف على اذن المركز وارادته ان شاء أعطى وان شاء منع .

وهنا نحن أولاء نرى معظم الولايات العثمانية بل كلها ملوثة بكنوز الطبيعة ومعادن الارض ، ولم نر ولاية من هذه الولايات انتفعت يوماً من هذه الكنوز المدفونة على كثرتها ، مع انها مورد رزق عظيم للحكومة ولاهل الولايات لو كانت تعمل فيها أبدي الشركات اليوم ، وهيئات أن يكون ذلك مادام أهل البلاد ليس لهم من أمر مرافق بلادهم شيء . وما دامت الحكومة المركزية هي المتصرفة بكل شيء

زد على هذا ان عدم كفاءة الموظفين الذين يقذف بهم المركز الى الولايات وجهلهم بكيفية تطبيق القوانين وعادات البلاد ولغاتها وحاجاتها قد أوجد اضطراباً وتشويشاً في ادارة الامور في كل ولاية ، فأساء سمعة الحكومة العثمانية حتى أحجمت كل شركة وطنية أو شبه شركة وطنية عن استثمار خيرات البلاد أو عمل أي عمل نافع لها ، فصار الاهلون عالة على الاجانب الذين تحتكر شركاتهم منافع البلاد وعالة على الحكومة التي لا تفتح لهم أبواب موازد الرزق الابدعدار ، وقعدت منهم مزايا الجماعات الانسانية كالا اعتماد على النفس والتعاون على المشاريع النافعة والنظر في وسائل عمران الوطن ، بل لا يكاد يوجد أثر من روح الاستقلال الشخصي في نفوس أفراد العثمانيين فهم ينتظرون من حكومتهم أن تفتح لهم المدارس للتعليم وتنشئ الملاجى للفقراء وتدفعهم الى كل عمل من أعمال الحياة ، وما ظنك بأسرة نشأت وهي عالة على ربها لا تطرق باباً من أبواب العمل ولا تأبى التمرن على أي سبب من أسباب الحياة ، ما ظنك بهذه الاسرة اذا قعد يوماً صاحبها عن العمل واستسلم لعوامل الضعف ؟ ألا تصبح عرضة للفاقة وتصير الى الهلاك المحتم ؟!

ان حال الامة العثمانية اليوم يشبه حال هذه الاسرة لاعتمادها في كل شيء على الحكومة المركزية وقعدانها روح التضامن وروح الاستقلال الشخصي ، ولعموم الجهل بين اكثر الطبقات فيها لانها لا تملك لنفسها حتى ولا شؤون التعليم فضلاً عن باقي شؤون الحياة

هذا ما فكر فيه عقلاء العرب وخشوا بعده من سوء مصير قومهم اذا استمر شكل الادارة في الحكومة على ما كان عليه من استثمار المركز بالسلطة على كل شيء ، وبهذا ثبت لديهم أن الضعف الذي اعتور الدولة وسرى الى سائر أجزاء المملكة لا يمكن تلافيه اذا أريد بقاء الدولة وسلامة استقلالها إلا بأن يناط بأهل كل ولاية النظر في شؤونها الادارية والتعليمية ، أي بأن يكون لها نوع من الحكم الذاتي الموجود في كل الممالك الراقية اليوم في أوربا وأمريكا المعروف باسم

(المنار - ج ١١ م ١٦) بيان حزب اللامركزية للامة العربية ٨٥١

(Decentralisation Administrative) أي اللامركزية الادارية، الذي يود رجال حكومتنا أن يسموه توزيع السلطة أو توسيع المأذونية . وعلى هذا المبدأ ولاجل نجاة الوطن والدولة تأسس في مصر حزب اللامركزية الادارية العثماني للمصلحة الشعوب العربية وحدها بل لمصلحة الدولة نفسها ، لان كل ارتقاء وغنى وقوة تنالها الشعوب العثمانية انا هو ارتقاء وغنى وقوة للدولة ، وهل للدولة قيام أو وجود الا بمجموعة هذه الاجزاء التي تألف منها المملكة فاذا قويت قويت الدولة والعكس بالعكس ؟

ولقد تلقت الامة العربية وعقلاؤها والمخلصون من أبنائها في كل ولاية نبأ تكون هذا الحزب بكل ارتياح وسرور ، لانهم شاعرون كشعور المؤسسين لهذا الحزب بالخطر المحرق بالاطان وبالحاجة الى التمسك بأسباب الترقى الصحيح والنهوض السريع واننا صرنا من الحرج الى حالة لا مخلص لنا منها ولا للدولة التي نود بقاءها وسلامتها لبقائنا وسلامتنا الا بانتهاج أقرب الطرق المؤدية للسلامة ، ألا وهو مشاركة الشعب للحكومة في ادارة شؤون البلاد والتوفر على عمرانها وارتقاء أهلها لم يشذ عن مشاركتنا بهذا الشعور بفضل الله الا أفراد من عباد المنفعة في الامة العربية وآخرون يقادون الى مفتريات هؤلاء مكرهين بزمام الحاجة اليهم ، أو التقليد لهم على غير علم ، وهؤلاء متى حصص لهم الحق كانوا اليه أميل ، وبأنصاره أزم ، واذن لا يكون هناك أدنى ريب في أن سواد الامة العربية الاعظم وعقلاءها وذوي الرأي فيها مجمعون على استحسان مبدأ اللامركزية واقون بأنه خير وسيلة للنجاة والنجاح ، وهذه حقيقة وان عرفت الحكومة المركزية تحاول أن تجاهلها ولا تعطي الامة العربية ماتريده لاجل حياتها ولاجل دولتها أيضاً

إننا لا يجوز لنا أن نرتاب في نية الحكومة ومقاصدها اذا أقامت الدستور، اذ ما من حكومة دستورية في العالم تأتي ترقى الشعب وراحتة، انما نرتاب في فهم هيئتها الحاضرة معنى اللامركزية التي ينشدها طلاب الاصلاح ومقدار اخلاص هؤلاء لدولتهم ووطنهم ، مع أننا أثبتنا للحكومة أننا لسنا طلاب عنت بل طلاب اصلاح ، بأن رضينا منها بدون ما هو وارد في برنامج حزبنا تمهيداً لسبيل الوفاق الدائم بين الحكومة والشعب العربي الذي كلما برهنت الحكومة على الثقة به وتوطين العزيمة على اصلاح حاله زادها اخلاصاً ، وازداد باخوانه الاتراك ثقة ، والى دوام مشاركتهم في السراء والضراء ميلاً

رضينا منها بدون ما هو طلبتنا من الاصلاح على قواعد برنامجنا ولكننا ويا للأسف لم نرض حتى بما هو دون المطلوب لنا ، ولم تف بما وعدت به خالص

٨٥٢ بيان حزب اللامركزية للامة العربية (المنار - ج ١١ م ١٦)

الامة العربية وعقلاهما الذين نابوا عنها في المؤتمر العربي. اذ هذا المؤتمر كما تعلم الامة العربية الكريمة عقد في باريس باسمها ، وكانت مباحثه دائرة على منافع اللامركزية الادارية وطلسم البلاد العربية ، واذ كان المؤتمر وفيه يمثلون معظم الجماعات العربية والشعب العربي الكريم فقد أوفدت جمعية الاتحاد والترقي التركية التي هي حزب الحكومة اليوم المتكلم بلسانها مندوباً من قبلها للاتفاق مع أعضاء المؤتمر على مواد اصلاحية سبق الاتفاق عليها بين الشبيبة العربية وبين مركز الجمعية في الاستانة تمهيدا لعرضه على المؤتمر ، ورأى المؤتمر أن يبرهنوا للحكومة والعالم أجمع على أنهم إنما يريدون الاصلاح ولو أتى تدريجاً ، وأن من الاخلاص لدولتهم أن لا يكون على عملهم مسحة من الجفاء ، وأن يقبلوا بمواد الاتفاقية مع بعض التحوير اذا وعدت الحكومة قبولها وسرعة تنفيذها . ثم وعدت الحكومة قبولها الا أنها لما أعلنت بيانها في الاصلاح جاء مخالفاً لنص الاتفاقية من بعض الوجوه وفيه تفسير ظاهر . ولما صدرت الارادة السنية على بيان الحكومة رأينا نص البيان قد تغير أيضاً ،

ولكي يرى أبناء الامة العربية الكرام الفرق بين برنامج حزب اللامركزية وما رضينا به دونه في اتفاقية باريس ، ثم بيان الحكومة لقرار مجلس الوكلاء المذافي لجوهر الاتفاقية ، ثم القرار الذي صدرت عليه الارادة السنية ومباينته للقرار الاصلي - تأتي في هذا البيان على نصوصها جميعاً لمقارنة بعضها ببعض ووقوف الشعب العربي الكريم على ما بينها من المباينة ، واننا مع رضانا بالقليل لم نحصل عليه

(وهنا نشر في البيان برنامج حزب اللامركزية ، ثم الاتفاق الذي صدق عليه مؤتمر باريس ثم بيان الحكومة بما قررت قبوله من الاتفاقية ، ثم ترجمه الارادة السنية بتنفيذ ذلك - وكل هذا قد نشرناه في المنار من قبل ، ثم عقب البيان على ذلك بما يأتي)

المقابلة بين برنامج الحزب واتفاقية باريس وماقرته الحكومة

بالمقابلة بين برنامج الحزب والاتفاق الذي صادق عليه مؤتمر باريس يرى القاريء الكريم الفرق العظيم بينهما ، فالبرنامج يتضمن طلب اللامركزية الادارية بكل مطانيها والاتفاق ليس فيه الا شيء قليل غامض من مطالب اللامركزية ومع هذا رضي المؤتمر بمضمون هذا الاتفاق باننا ذلك على حسن نية الحكومة وعزمها الاكيد على اجراء الاصلاح على قواعد اللامركزية بالتدرج ، فكان من الواجب أن تثبت الحكومة حسن نيتها للامة العربية بالمبادرة بتنفيذ مواد الاتفاق لتؤكد الثقة

(المنار - ج ١١ م ١٦) بيان حزب اللامركزية للامة العربية ٨٥٣

بينهما ويتعاوننا على ترقية البلاد واحياء قوة الدولة التي كاد يعروها الدثور بسبب الادارة السيئة

ولكن الحكومة لم تفعل ذلك بل أصدرت بيانها الذي رآه انقراء الكرام وهو يبين ذلك الاتفاق من وجوه كثيرة. منها ان ذلك البيان يقول في المادة الرابعة «ان التعليم في الولايات العربية يكون في المدارس الابتدائية والاعدادية باللغة العربية» ولكنه نفي ذلك في المادة الخامسة أو الفقرة الثانية من المادة الرابعة بقوله : « ولاجل تعميم اللسان الرسمي يجب المحافظة على المدارس الاعدادية في مراكز الولايات ودوام التدريس فيها باللغة التركية »

ومنها ان البيان المذكور لم يترك للولايات سوى تعيين الموظفين الصغار واشترط معرفتهم التركية مع العربية بحجة انها اللغة الرسمية مع ان اتفاقية باريس تقضي بأن جميع موظفي البلاد العربية يعينون فيها ماعدا الرؤساء الذين يعينون بأرادة سنية ، وأن يقبل مبدئيا أن تكون المعاملات الرسمية في البلاد العربية باللسان العربي فيتيسر أن يكون أولئك الموظفون من أهل الولايات نفسها وفي هذا التعديل الذي جاء في البيان حرمان أهل الولايات العربية حتى من الوظائف الصغيرة كالتسويد وكتابة المحاضر ، وفيه من الضرر على صغار المأمورين ما فيه لان معظمهم يجولون اللغة التركية فاشترط معرفتهم بها بمثل هذا القيد القانوني يوجب طرد الالوف منهم طرداً من وظائفهم الحالية باسم القانون بدلا من فتح الباب لغيرهم في خدمة حكومتهم المحلية ومنها ان اتفاقية باريس تقول بلزوم ترك أمور النافعة للإدارة المحلية وهذا البيان لم يعرض البتة لهذا الأمر مع ان ترك الأمور النافعة للولاية واعتبار اللغة المحلية لغة المعاملات الرسمية من أهم ما تعلق عليه أمل المصلحين في اصلاح ادارة البلاد يد أهلها والاعتماد في ترقيتها على أبنائها

ومنها أن اتفاقية باريس نصت على أن يعطى مقدار من المال لسد عجز الدوائر التي تترك ادارتها للولايات (ويراد بها بالضرورة المعارف والناحية) ويعطى غير ذلك نصف رسوم العتارات على أن يصرف للمعارف ولكن المادة التي جاءت في بيان الحكومة بخصوص مالية الولاية لم تصرح بذلك بل هي غامضة كما يرى القراء الكرام

أما ما يتعلق بالمناصب والوظائف التي تقرر أن تعطى للعرب في الاتفاق المكتوب والاتفاق اللساني المفصل له فنترك الكلام عليه لانه في نظر حزبنا أمر ثانوي يراد منه الثقة بتنفيذ تلك المواد على وجهها . على ان هذا البيان على قصصه وغموضه ومباينته لاتفاقية باريس وعدم الاشارة فيه الى ما ورد فيها أيضاً من اعتبار قرارات

٨٥٤ بيان حزب اللامركزية للأمة العربية (المنار - ج ١١ م ١٦)

المجالس العمومية نافذة فانه طرأ عليه تقص آخر لما صدرت الارادة السنية بتنفيذه كما يعلم ذلك من مقابلتهما ولا حاجة للبيان وهذا كله يدل على ان الحكومة لم تستعمل الصراحة في رفض أو قبول مطالب المصلحين فكان ذلك داعية الريب فيما تعد به من الاصلاح، ولهذا عدلت اللجنة العليا لحزب اللامركزية في مصر عما كانت قرره عند ما أذيع خبر قبول الحكومة لمطالب العرب وهي أن ترسل وفدا الى الاستانة لشكر الحكومة على ما أظهرته من الميل لاجابة مطالب المصلحين فقد كانت رفعت شكرها ببرقية الى الصدارة معربة عن استبشارها بعصر ترق جديد تدخل فيه الامة العثمانية، وعصر ونام يكون فاتحه خير وسعادة على العنصرين الكريمين الترك والعرب العثمانيين، وكتبت بغرضها من ارسال الوفد الى أحد أركان الدولة منتظرة رأيه في الامر، وفي أثناء ذلك أعلن بيان الحكومة فاذا هو كما قدمنا مبين لاتفاقية باريس، ولا يختلف عن قانون الولايات الا بشيء طفيف، نأحزن ذلك الذين كانوا مستبشرين بحسن نية الحكومة من الشعب العربي، وأوجب عدول اللجنة العليا عن ارسال الوفد، وكتبت ببيان السبب الى أحد أركان الدولة الذي كانت كتبت اليه قبل ذلك. وما جاء في آخر كتابها الذي أرسل باسمها من رئيس اللجنة العليا قوله :

« ولما جاءت التلغرافات العمومية مبشرة بتصديق الحكومة على الاتفاقية التي تمت مع العرب رأينا أن نبرهن للحكومة على اخلاصنا وحسن نيتنا وعلى شكرنا العظيم تقدمت تلغرافاً بالنيابة عن اللجنة للصدارة أعرب فيه عن شكرها وآمل أن نكون دخلنا في عصر جديد من عصور الاصلاح الحقيقي وذكرت فيه ان حزبنا سيوفد وفداً خاصاً لتقديم الشكر للحكومة. ورغماً عن تكذيب مركز الاتحاد والترقي لخبر هذا الاتفاق بصورة مهينة لطلاب الاصلاح كما رأيت ذلك بالضرورة في جريدة طنين فان اللجنة كانت باقية على هذا العزم لاعتبارها ان الحقائق هي التي تنشد لا الالفاظ وان ماصار الاتفاق عليه في باريس والاستانة مع أبناء العرب وان كان دون ما في بروغرام حزب اللامركزية الا انه يكفي للدلالة على حسن التفاهم مع الحكومة والسير في سبيل الاصلاح ولو بالتدريج، وليس لنا غاية من وراء ذلك كما يشهد الله. ولكن الحكومة ببيانها الاخير شوهت مواد تلك الاتفاقية تشويهها ولم ترض بذلك القليل الذي رضينا به فأدخلت اليأس من جديد في نفوس أعضاء حزبنا ونفوس الامة العربية جمعاء فرأت اللجنة أن تؤخر الآن ارسال الوفد وأن تخاطبكم بصفتم من شهود ذلك الاتفاق في باريس بما عولت عليه، وهو انها توقف ارسال الوفد على أحد أمرين : إما رضاء الحكومة بالاتفاقية

(المنار - ج ١١م ١٦) بيان حزب اللامركزية للامة العربية ٨٥٤

المذكورة وتطبيقها بالحرف ، واما أن تودع مسألة اللامركزية برمتها الى رأي الامة بأن تصادق على بروغرام حزبنا ليسير في تأييد مبدئه بالطرق القانونية التي تسير فيها الاحزاب عامة في كل مملكة دستورية فاذا كانت البلاد مستعدة لهذا النوع من الحكم ثبت مبدأنا ونفذ بالتدرج ، واذا كان غير ذلك نكون قننا بالواجب الذي تدعونا اليه ضمائرنا ونعتقد انه محتم علينا بازاء دولتنا ووطننا ، واذا كانت الحكومة لا ترى هذا ولا ذاك ولا توافق على الاتفاقية ولا تقبل الاعتراف بهذا الحزب فقد عولنا متمدين على الله وحسن النية والاخلاص لهذا الوطن ومعونة الامة العربية وأهل الرأي فيها على المضي في الوجهة التي رسمناها لا نفسنا لاجل سعادة الاوطان وسلامتها وسلامة الدولة أيضاً ونترك تقدير النتائج المترتبة على ذلك الى ضمائر القابضين على زمام الامر اليوم « الخ

فهذا الكتاب وما قبله من البيانات الواضحة يثبت لانباء الامة العربية الكريمة اننا لم نأل جهداً في تحقيق رغباتها وتأييد مطالبها في اصلاح الوطن وترقيته وسعادته وان رائدنا الاخلاص لدولتنا ووطننا ، وانما هذا الاخلاص لا يمنعنا اذا رأينا اصراراً من الحكومة على رأيها القديم في الامة العربية ومطلقاً وتسويقاً في اجابة مطالبها ان نتخذ خطة العزم والحزم والثبات امام كل الموانع التي تحول دون تحقيق آمالنا في ترقى بلادنا واسعاد أهلها وجعلهم قوة ذات حياة وحركة ، متضامنين في العمل على صيانة الوطن وسلامة العنصر العربي الكريم من الاخطار الحادثة به ، خصوصاً في هذا العصر الذي اشتد فيه التنافس بين الامم في مضار تنازع البقاء ، وأصبحت كل العناصر العثمانية عرضة لفقد الاستقلال والموت الشائن المهيئ ، موت الخمود والنحول ، اذا استمرت حالة على الحكومة في كل شيء فاقدة كل وسائل الارتقاء والكمال والاعتماد على النفس

وانما نعتد في هذا التضامن الداعي لنجاة الوطن ونجاة الامة من الاضمحلال على ذكاء العنصر العربي الكريم وكفاءة أبنائه واستعدادهم وعلى النية الخالصة لله وللوطن والدولة ، ونرجو أن يؤازرنا على سعيينا هذا كل من أظلمته سماء البلاد العربية لتثبت للعالم أجمع أن الامة العربية التي قوي الزمان على نحو معظم الامم القديمة لم يقو على محوها ، وان الامة التي استمد منها العالم القديم روح المدنية والتشريع منذ ستة آلاف سنة أي من عصر خورابي وكان العالم الجديد مديناً في مدينته لها من الف سنة أي من عصر الرشيد والمأمون وما بعدها لا يجوز العدل والانسانية أن تسحق بأقدام الطامعين والسياسيين . وان الاوطان التي أنشت

٨٥٦ بيان حزب اللامركزية للامة العربية (المار-ج ١١ م ١٦)

حمورابي أول واضع للشرائع المدنية وأخرجت مثل موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام الذين قبلوا نظام العالم الانساني وأخرجوه من ظلمات الوثنية والذائل الى نور التوحيد والفضائل، لا يجوز أن تكون أوطاناً لغير أهلها النابتين من ترابها والناشئين فيها مادام في صدورهم نفس يتردد ويدل على الحركة والحياة

* *

لا يوجد فيما نعلم عربي مخلص تظله راية الهلال العثماني الا ويريد البقاء الدولة والحياة مع اخوانه الاتراك تحت راية واحدة هي راية الهلال ، ليكونوا قوة له وهو يكون قوتهم وكلاهما قوة الدولة، كما انه لا يوجد عربي يعقل معنى الحياة والوجود يرضى أن يكون مكانه من هذه الدولة مكان العبد المملوك من المالك ، والمسود من السيد ، ولا مكان الاجنبي من الفاتح المستعمر، بل يطلب كل عربي يعقل معنى الحياة أن يكون مكانه من التركي في هذه المملكة مكان الاخ الشقيق من أخيه الشقيق ، لا يمتاز أحدهما عن الآخر بحق شرعي ولا قانوني، وإنما يتفاضل افراد كل من الشعبين بعلومهم وأعمالهم. ويعتقد عتلاء العرب ان بقاء الدولة بدون هذه المساواة مؤلفة من هذين العنصرين محال ، وإذا هما افترقا - لا قدر الله - فالله وحده هو العلم بالمال فاذا كان اخواننا هؤلاء لا يريدون أن يفهموا هذه الحقيقة - وإن أودوا بنا وبأقسامهم فنبذوا الجميع في هاوية الدمار - فان الشعب العربي قد عرفها ، وهو يريد الحياة ويجهد في سبيلها ، بمتى ما عنده من القوة والجهد والحزم ، فمن العبث أو من الخطأ انوجب لتنافر القلوب وتجاهاها أن يحال بينه وبين الاصلاح الذي يطلبه لنفسه ولأوطانه ، والقوة التي ينشدها لحفظ كيانه ، وبقاء الدولة التي يحترم وجودها ويؤد بقاءها، ولكن بقاء عزيزا شريفاً نافعاً للامة العربية لا ضاراً بأهبا قاضياً على وجودها وبما ان الواسطة لترقي هذه الامة وسلامتها هو أن يكون لها حق الاشراف على مرافق بلادها، وحق المشاركة في ادارة مصالحها، وحق التسليم والتعامل بلغتها ، وهذا لا يتأتى بغير الادارة اللامركزية فقد رأى عقلاؤها والمفكرون فيها وجوب السعي لنيل هذا النوع من الادارة بكل الوسائل الممكنة . وبما انه ما من عاقل من ابناء العرب يطلب شيئاً فوق اللامركزية الادارية التي تضمن له الحكم الذاتي من جهة وبقاء الرابطة السياسية بالدولة العثمانية من جهة أخرى - بناء على ذلك كله - تدعو اللجنة العليا لحزب اللامركزية كل الجمعيات العربية وكل العقلاء من افراد هذه الامة الكريمة الى توحيد الكلمة والوجهة والغاية ومؤازرتها فيما تدعو اليه من المطالب العامة الموافقة لمصلحة الجميع ، ومتى نلنا هذه الاصول العامة تبعا بالسهولة ما يطلبه بعضهم لبعض الولايات خاصة ، على ان انصارها والقائلين

(المنار - ج ١١ م ١٦) مظاهره العرب السلمية بطلب اللامركزية ٨٥٧

بصحة مبدئها في سائر أنحاء البلاد العربية كثيرون ولله الحمد، بل هم جماهير أهل الرأي والفيرة والاخلاص، لا كما يفش رجال الدولة طلاب المنافع والمناصب بالتملق والدهان، وستعلم حكومتنا ان الامة العربية متحدة متكافلة، تردد صوت طلاب الاصلاح اللامركزي في كل مكان، وعسى ان تقع بالآية التي تراها اليوم فلا تحتاج الى ما هو اكبر منها من الآيات.

(مظاهرة العرب السلمية اليوم)

في هذا اليوم الذي يصدر فيه هذا المنشور ترى حكومتنا العليا في الآستانة آية من آيات صدقنا ونصحنا واخلصنا لها - في هذا اليوم تهتز أسلاك البرق وتنفض عروقه بين عاصمة الدولة وجميع الولايات العربية العثمانية والجاليات العربية العثمانية في الممالك الاجنبية، فتشعر حكومة العاصمة بما تنبض به قلوب العرب العثمانيين في مشارق الارض ومغاربها، - في هذا اليوم تستوي الشمس على كرسياها من القبة الزرقاء - وخامة الصدر الاعظم مستو على كرسيه في الباب العالي، ووفود طلاب اللامركزية من العرب واقفون في ادارات البرق (التلغراف) في سورية وفلسطين والجزيرة والعراق وفي أوروبا وأمريكا يخاطبون نخامته بما نصه العربي (بعد عنوان الخطاب):

«قد برهنت الامة العربية باقوالها وأفعالها، ومسلك أحزابها وجمعياتها ومخفها، على شدة اخلاصها لدولتها، وحرصها على سلامة السلطنة العثمانية كلها، واثاق شعوبها على عمرانها وترقيتها. وقد ثبت لها بالبرهان ان ذلك لا يتحقق ولا تبقى الدولة ونحيا الا بالادارة اللامركزية الواسعة التي يظهر بها استعداد كل شعب من شعوب الامة العثمانية فتتبارى في ميدان العلم والعمل. وقد سمعنا عن لسان مولانا السلطان الاعظم وأركان دولته ما يدل على الرغبة في اجابة الامة والعرب خاصة الى مطالبهم الاصلاحية، فنحن لهذا نسترحم من مقام الصدارة العظمى اعلان وتنفيذ أحكام اللامركزية الادارية الواسعة في ولايتنا، واعطاء الشعب حريته في هيئاته النيابية وامور المعارف والنافعة وجميع الشؤون الاقتصادية المحلية، واعتبار اللغة المحلية لغة رسمية، والامر لوليه

*

- وفي هذا اليوم ترفع اللجنة العليا لحزب اللامركزية الادارية العثماني برقية الى نخامة الصدر الاعظم تؤيد بها برقيات امته الكريمة هذا نصها :

(المنار ج ١١) (١٠٨) (المجلد السادس عشر)

٨٥٨ خلاصة مطالب العرب العثمانيين من الدولة (الناشر - ج ١١ م ١٦)

الاستانة - الصدارة العظمى

اليوم تظهر لكم الامة العربية رأيها وارادتها بالبرق من كل جهة ، وتطالبكم بلسان أهل الرأي فيها باعلان اللامركزية الادارية الواسعة في كل ولاياتها . فلجنة حزب اللامركزية عاصر تنهي الى نخامتكم انها تؤيد هذا الطلب الحق بكل قوتها ، راجية من حكمة حكومتكم إحلال رأي الامة الموافق للشرع والدستور محل الاعتبار والقبول

رئيس حزب اللامركزية بمصر

رفيق العظم

ملفوة القول و خلاصته

ان الامة العربية متفقهة في جميع الولايات العثمانية على طلب الادارة اللامركزية الواسعة المبنية قواعدها الكلية في برنامج الحزب ، ويؤيد أهل الولايات في ذلك المهاجرون من اخوانهم العرب في مصر وأوربة وأمريكة . ولا يتنافى اتفاقهم على القواعد العامة وتضامهم وتكافلهم فيها ببعض المطالب الخاصة ببعض الولايات كطلب جمعية بيروت الاصلاحية امورا مخالفة لبعض مطالب جمعية البصرة مثلا . فطلاب الاصلاح كلهم إل ب واحد وكلتهم واحدة ، والامة كلها معهم تشد أزرىم وتنبد من بخالفهم نبذ النوى . ولا يمكن ان تسكن هذه الحركة ، وتسكت الاحزاب والجماعات عن الصراخ أمام الامة والحكومة ، بالتلهي ببعض قشور المطالب وما هو مطلوب منها في المرتبة الثانية ، أو ما هو منها بمنزلة القروع من الاصول

اصول المطالب وما لا يتعد بغيره الا ممة

الاصول الاساسية من مطالب العرب هي ما اشارت اليه برقية الامة وهذا تفصيله بالاختصار :

(١) حرية الشعب في هياته النيابية . وأهمها حريته في انتخاب أعضاء مجالس الولايات العمومية ومجالس المبعوثين وغيرها - وجعل جميع قرارات المجالس العمومية نافذة فيما هو داخل في اختصاصها وهو كل ما يتعلق بمصلحة الولايات التي لا تتعلق بالسياسة الخارجية ولا الحرية

(٢) حريته في أمور المعارف . وأهمها ان يكون التعليم كله باللغة العربية ، وان تناط ادارته بالمجالس المحلية

(٣) حريته في أمور النافعة والشؤون الاقتصادية بأن تكون جميع أعمالها بأيدي المجالس المحلية ، الا ما يتعلق بالسياسة الخارجية أو الحرية ، فالامجالس العمومية في هذا حق الرأي المحترم فقط ، واما حق التنفيذ فن خصائص الحكومة العليا في العاصمة . وعلى كل حال لا يجوز اعطاء امتياز في الولاية بانشاء طريق

أو استخراج معدن أو عمل زراعي ولا يبيع أرض أميرية ونحو ذلك من الشؤون المحلية إلا بقرار من مجلسها العمومي

(٤) اعتبار اللغة العربية رسمية في جميع الولايات العربية بأن تكون جميع معاملات الحكومة بها في هذه الولايات، فلا يقبل فيها موظف إلا من أهلها الذين يحسنونها قولاً وكتابة، لأن نشر التعليم باللغة الأمية كما يجب يتوقف على التعامل بها في شؤونها ومصالحها العامة

ففي نالت الأمة هذه الأصول الأساسية تساهلت فيما عداها وفي بعض القروع المترتبة عليها والتدرج فيها. ذلك بأن حياة الأمة لا تكون إلا بحريتها فيما مر ذكره، وحياة لغتها بالعلم والعمل، وتدير ثروتها والاستقلال بمنافعها الاقتصادية كلها، والأكانت جاهلة فقيرة ذليلة مضطهدة أبد الدهر. فإذا ساعدت الأمة العربية حكومتها على ذلك تعتقد أنها تريد لها الحياة فتكون مخلصه لها كل الاخلاص، والا عملت كل ما في طاقتها للوصول الى حقها في احياء لغتها والحياة بها، واحياء أرضها، والتمتع بخيراتها ومنافعها. ومن أراد الحياة الشريفة الطيبة لا يلام، وإذا سعى لها سعيها نالها بسلام أو غير سلام، ومتى أرادت الأمة فعلت، ومتى سارت وصلت، وتلك سنة الله في جميع الأمم، ولن تجد لسنة الله تبديلا.

صدر عصر القاهرة في ٩ ذي القعدة سنة ١٣٣١ - ٢٦ ايلول سنة ١٣٢٩
(مالية عثمانية) ٩ اكتوبر سنة ١٩١٣

الجنسية واللغة

براد بالجنسية الانتساب الى قوم تضمهم جامعة واحدة ويخضعون لقانون واحد بدون التفات الى وحدة الاصل وكثرة العدد واختلاف اللغة والدين، كالجنسية الفرنسية والالمانية والانكليزية والثمانية والنسابة الخ. وهي في عرف الناس وفي نظر رجال الحكومات صفة لازمة للقومية وقوة مقومة لكيان المملكة وحفظ المجتمع، وفي نظر بعض علماء الاجتماع ضلال من ضلالات الزمان، التي استولت كما استولى غيرها على الازهان، ولا بد ان يقضي الزمان بانها كما قضى على غيرها من الاوهام والخرافات يظهر لأول وهلة ان هذا الرأي الاخير بدعة تزعم أركان الوطنية، وتبهد عناصر القومية، وتضعف روابط الجامعة وتهدم بناء المملكة. ولكن يضع بعد الامعان والنمن في مايلي انه حقيقة لا بد من ثبوتها في المستقبل البعيد

إذا استولى الوهم على الذهن كان أشد تأثيراً فيه من العقل وإذا اندس في أخلاق الأمم وعاداتها كان شديد المراس لا يزحزح إلا بعد جهد وعناء شديدين . وإذا طال الزمن على عقيدة فاسدة شق على العقل والعلم نقضها واقناع الجمهور بفسادها، لأن الخرافات اعلق بالاذهان من الحقيقة وأشد منها تمسكاً واستمساكاً، بدليل ما نرى منها إلى الآن في عادات أرقى الأمم مدنية وأعلاها علماً وأدباً . ومن قبيلها اجماع الناس على الاعتقاد بالجنسية اعتقاداً غلب فيه الوهم على الحقيقة ، فيعطونها ما ليس لها من الحدود والصفات والمميزات التي لا تعتبر في نظر علماء الاجتماع إلا حيلة سياسية لاستعباد الاقوام الصغيرة وتفضيد القوة الحاكمة . وهي تظهر بأشد مظاهرها في البلاد التي تقوى الروح الوطنية فيها وتصبح خطراً على البلاد المجاورة ، وحيث الرغائب والاميال والحذر من المستقبل والاستنكار من تقدم الأمم الأخرى وتهورها والانفعال من خسارة بعض الامتيازات تحول الاذهان عن فهم الحقيقة ونيل بها إلى تفسير القضايا الاجتماعية تفسيراً يوافق تلك الرغائب والاميال . نرى ذلك في فرنسا التي خسرت سيادتها في أوروبا بعد وحدة ألمانيا ووحدة إيطاليا ، وفي النمسا حيث تطالب الشعوب المظلومة بحقوقها، فإذا خلا الذهن من تلك الأكدار حسب الروح الوطنية ظاهرة من الظواهر الطبيعية تؤثر في الفرد كما تؤثر في السموم ولها حد من اغتراب لا يمكن توقيفه أو منعه كما أنه لا يمكن توقيف المد والجزر أو منع حرارة الشمس في ابان الحر . على ان من الضلال القاضح أن يكون أساس الجنسية الأساس الذي وضعته السلطات الحاكمة وتحاول أن ترسخ في الاذهان ان أقل جنوح عن نظامها يفقد الانسان جنسيته ويجعله شريداً طريداً في مجاهل الانسانية

فما هو أساس الجنسية ؟ وما هي علامتها المميزة ؟

إذا رجعنا إلى الانثروبولوجيا وهو العلم الوحيد الذي يرجي منه حل المسألة لم نجد فيه ما يفي بالغاية ، لان علماء الانثروبولوجيا فريقان الواحد يقول بتعدد أصول الانسان والآخر يقول بوحدة الاصل ، فالفائزون بالتعدد يزعمون ان الاسباب التي ساعدت على ظهور الانسان في بقعة من الارض ساعد مثلها على ظهوره في بقعة أخرى، وان ما بين الانسال البشرية من الاختلافات الجوهرية كاختلاف اللون والصفات والتركيب مسبب عن اختلاف الاصول وليس عن تحول الصورة الاصلية ، وتطبيق الحياة على الاحوال المحلية . فهذا الرأي لا يحل المسألة حلاً شاملاً عما عدا انه لا ينحلو من النقد ولم يتفق عليه علماء الانثروبولوجيا . أما الفريق الثاني فيقول ان التغييرات

التي تحصل في النسل الواحد بفعل الاحوال المحيطة وتأثير العوامل المحلية هي حدود للجنسية وينسب لكل شعب صفات خاصة تميزه عن بقية الشعوب ولو كانت من نسل واحد . على ان تلك الصفات ليست الا صفات خارجية لا تدل دلالة صريحة على وجود حدود فاصلة بين الهياكل الوطنية لان في كل شعب ولا سيما في النسل الايض أفرا-اكبارا وصغارا وشعرا أشقر وأسود وعبونا زرقا وسودا ومزاجا باردا وحارا . واذا تقلبت بعض الصفات في شعب والبعض الآخر في شعب آخر فالعلامات الجسمية والمقالية تقرب أن تكون واحدة وليس فيها من الصفات الخصوصية ما يمتاز بها شخص عن آخر وتعرف بها جنسيته كما يعرف النسل الاسود بالجلد الاسود والشعر الاجمد وهيئة الفحف والوجه

فهذه الصفات التي يلقون عليها أهمية كبرى ليست بيولوجية لتحدث تغييراً في ذاتية الانسان، ولا جوهرية لتضع حدوداً فاصلة بين الجنسيات، لانها تكتسب بالتعليم والتدريب والتدريب وتزول بمد البلوغ وفي ظروف معلومة. تدلنا على ذلك احوال الولد الذي ينقل طفلا من قومه وينمو ويعيش في وسط آخر بعيد عن أهله فانه يكتسب صفات ذلك الشعب القريب ولا يظهر فيه أثر من صفات قومه لان تلك الصفات أعراض قابلة الزوال حتى لقد يخسر البالغ صفات قومه ويكتسب صفات قوم يخاطبهم كما اكتسب البرامكة صفات العرب وضرب المثل ببلاغة توافيهم، وكما ان الابويين وهم أكراد صاروا أشد نعرة للعرب من العرب أنفسهم، وكان منهم شعراء وعلماء وأجازوا الشعراء ووقف منهم على أبوابهم ما لم يقف على أبواب غيرهم من ملوك العرب . والسموأل وابن سهل يهوديان وهما شاعران عريان تسدق الروح العربية من أنفاسهما . والامثلة على ذلك كثيرة يروى منها عند كل الأمم فقد قام كتبة المانيون من أصل فرنساوي نفتخر بهم المانيا وقام المانيون في فرانسوا وإيطاليون في انكلترا وقس عليه . فالرابطة الدموية اذاً ليست شرطاً جوهرياً لتحديد الجنسية فالهيفونوت (وهم البروتستانت الفرنسيون الذين هربوا من الاضطهاد) الذين هاجروا الى براندبورج أصبحوا من أفضل الالمان، والهولنديون في امستردام الجديدة صاروا أميركيين لا غبار على وطنيتهم . أي ان الحرب والمهاجرات الكبرى والاسفار مزجت الناس بعضهم ببعض حتى لم يبق فارق يفرق العناصر القومية بعضها من بعض عدا عن ان التشريع لا يعير القرابة الدموية أقل أهمية، لأنه يسهل للقرابة ان يتجنسوا بجنسية المملكة أي يصيروا وطنيين لهم ما لاهل الوطن من الحقوق وعليهم ما على

٨٦٢ باللغة تتكون الجنسيات لا بالقوانين والعادات (المئارج ١٩١٦)

مواطنيهم من الواجبات. فالانثروبولوجيا ليست أساساً للجنسية وكل ما يقال فيها واهن من هذه الجهة وغير ثابت

وقد حاولوا أن يجعلوا أساس الوطنية الاشتراك في المنافع والمرافق وقالوا: ان ما يجعل الناس أعضاء أمة واحدة هو الماضي المشترك والمستقبل المشترك وكونهم تحت سلطة واحدة وخضوعهم لشرائع واحدة واشتراكهم في الافراح والأتراح. الا أن ذلك نظرية سفسطية تصح قولاً ولا تثبت فعلاً لان الروماني في غاليسيا لا يشعر على الاطلاق بكونه بولونيا مع ان الرومان والبولونيين اشتركوا في الشرائع والنظم السياسية منذ أكثر من ألف سنة. والفيلادي يعتبر جنسيته غير جنسية السويدي رغم أنهما يؤلفان شعباً واحداً ويسيران على سياسة واحدة منذ أكثر من ألف سنة أيضاً. لا ريب في أن الشرائع والنظم واتفاق المسادات والاخلاق وارتباط الاعمال تقرب العناصر بعضها من بعض وتولد فيها شعوراً بالتضامن، الا أنها لا تزرع جنسية من صدور قوم ولا تخلق أخرى في قوم آخرين

كل ذلك فن احتيالي تضرب به الحفيظة عرض الحائط. فالجنسية لا تعرف من صفات الفرد الا مآثر الشرائع والنظم لا تحدد الجنسية حداً محيلاً فاصلاً بالرغم مما لها من التأثير في الاخلاق. بل ما يحددها هو اللغة لان بها وحدها يصبح الانسان عضواً من شعب خاص، وبها يتولد فكره وشعوره وبها يقتبس منهج الشعب الذي كونه وأعماله ووضع فيها أسرار عقله ووقت فيها لهجات روحه وكساها بآداب خصوصياته العالمية. وبها يصبح ابناً ووارثاً لكل المفكرين والشعراء ولكل النبهاء وقواد الشعب، وبها يشابه قومه فكراً وعملات لانها تستهوي الافراد بتاريخها وآدابها. وهي بالحقيقة الانسان كله لانها سلك الاصل للمدركات الخارجية والآلة الجوهرية التي تساعد على العمل في العالم الخارجي. فمن بين الملايين يقوم مفكر واحد يفكر في قومه فيكتب لهم لاصلاح مجتمعهم فيأخذ الملايين عنه ما أنتجته قريحته الذكية وينالون باللغة ما لا ينالونه بأية آلة أو واسطة أخرى، فاللغة هي أقوى رابطة تربط الناس بعضهم ببعض لان أخوين لا يتكلمان لغة واحدة يكونان بيدين أحدهما عن الآخر أكثر من غريبين يتعارفان ويتبادران السلام بلغة واحدة

كنت وبعض الزملاء في الاسكندرية وكنا نختلف الى بعض الاندية وتكلم بلغتنا العربية فابتدروا شيخ يناهز الستين تقاذفه عوامل الفرح والياس والقنوط والامل والحب والبغض قال بالحرف « يا شقاوتي هنا أبناء وطني يتكلمون العربية وأنا أموت

حسرة في الاسنانة « قلنا : ومن أين الشيخ ؟ قال : من بغداد ، قلنا : وأين سورية من بغداد ؟ قال : تجمعنا اللغة

وقعت بين الانكليز والاميركان حروب طاحنة وحصلت مشاكل شتى زادت شقة البعد بين الشمين ، ولسكنهما تجاه غير الانكليزي واحد ، ويشعران بانقسامهما انهما أبناء بريطانيا العظمى

لما قامت الحرب بين الانكليز والبولير خفق قلب الهولنديين وتفتت أمماً وغمما عن انقطاع الملاقة السياسية بين هولاندا والكاب منذ نحو قرن . وفي حرب ١٨٧٧ تشيع أهل سويسرا وباجيكا للفرنساويين وحنوا اليهم بكل جوارحهم رغماً عما ينهم وبين الفرنسيين من الفرق العظيم في الشرائع والاحلاق والجنسية السياسية والتذكارات التاريخية وفي حرب الشلوبيك هولشتين فزع النروحيون للدنمارك وتطوع بعضهم لمساعدتهم مع انهم يكرهونهم وقد تحرروا من سيطرتهم بعد حروب طويلة ولا شيء يربطهم بهم سوى اللغة الا ان هذا الاشياء هو كل شيء

رقي اللغة عنوان رقي الامة وانحطاط اللغة دليل على انحطاط الامة لانها تخذ أهمية اذا استخدمتها الامة آلة لنهوضها ورقيا وتقل أهميتها اذا كانت الامة منحطة ومستعبدة للفتنة الصغرى منها المستبدة بأحكامها . لان في مثل هذه الحال لا يحتاج اليها الهيئة الحاكمة لانها لا تتنازل الى مخاطبة الافراد ولا يحتاج اليها الافراد أيضاً لانه لا يحق لهم ان يفرغوا مافي قلوبهم في قالب من الكلام الحسن ولا يبقى منها الا مايلزم القرويين للتفاهم أو للهدر والمزاح أو للدأره والتعسر والشم . وقانون الاستبداد يقضي باظلام البصائر فيحب الظلام ويقبح النور ويسد سبل التهذيب ويقفل أبواب المدارس ويجعل السوط قاموس اللغة ومنتها وكل علومها وآدابها . والشريف في الامة لا يرى ما يدعوه الي التمل لان حقوقه يؤيدها شرف الولادة فهو سيد بدون أن يفتح فماً أو أن يمس قلماً في دواة

فالجنسية في هذه الحالة واطئة لان علامتها الرئيسية واطئة . الا ان الاحوال تغيرت في هذه الايام حتى في روسيا وتركيا وأصبح لكل فرد من أفراد الرعية حتى الدفاع عن نفسه وأن يعلو فوق الحد الذي وضعه فيه أحوال ولادته . وفتحت أبواب التعليم وانتشرت الجرائد ، وأعطيت حرية الخطابة فانتعش نطق اللغة وورقت حواشها وسمت آدابها ، وأمن فيها الكبير والصغير والغني والفقير حتى الملوك أنفسهم ، اذ علموا ان لا بد لهم من سهولة الكلام في كثير من الاحوال ، وأصبح كل عقبة تقف في سبيل

٨٦٤ تنازع اللغات في المملكة علاجه اللامركزية (المازج ١١ م ١٦)

استعمال اللغة الخاصة بالامة أو كل ضفط يوجب استعمال لغة أجنبية عاراً وغفلاً لا محتملان. ومن كانت جنسيته الصفري في البلاد التي يتوطنها وكانت لغته غير اللغة الرسمية وحُظر عليه استعمال لغته وأجبر على استعمال لغة أجنبية فإنه يشعر بألم لا يمر فيه الا من مرّ بهذه الشقة وعانى مشقاتها لانه يكون كعبد من عبيد القرون الوسطى أو كمجرم محكوم عليه بالنفي . وما من أحد في السكون يرضى بمجرمانه من أهم قوة في الحياة بها يث شعائره ويهبر عن أفكاره . وما الحرمان من الغاب الشرف بشيء بالنسبة الى الحرمان من اللغة الخاصة . وتقييد الارجل بالقيود ليس بشيء بالنسبة الى تقييد المسان الذي به تجس قوئ العقل في قفص يمنعها من الظهور والانتشار ويشل حركتها ويقتلها في المحيط المفسد بسياسة الظلم . فسكران اللغة نكران للانانية لا يرضى به إلا من سفلت طباعه وتدنى الى أدنى ينحني ويمفر وجهه بالتراب امام الهيئة الحاكمة المستبدة ويضعي حقوقه ويدوس على أقدس عاطفة من عواطف الجنسية . على ان مثل هذا السافل أو الجبان قليل في العالم لان الاكثرية تملك بافتها وتدافع عنها كما تدافع عن حياتها وتقاوم كل قوة تعمل لاذلالها . ويمكن للامة الحاكمة أن تجعل لغتها اللغة الرسمية وأن تمنع لغة الامة المحكومة من المحاكم والمدارس والكنائس والجمعيات والمعاملات ولا يمكنها ان تستطيع أن تمنع حركة الافكار التي تنهياً لنسف بناء تلك السياسة بعد ان أصبح سجيناً لا مسخرة عليه من الانسانية بدلا من أن يكون ملجأ لتقوية الضعيف وتخفيف آلامه

لا يمكن ان نقنع انسانا ذا عقل سليم بقطع رأسه ولا نستطيع شريعة ان تمنع امة حية بترك لغتها ومظهر عقائدها الخاص . وكل مملكة تحتوي على جنسيات متعددة لا بد من وقوع التنافر والشقاق فيها واذا تكافأت فيها القوات تجزأت وانحلت . فما هو العلاج الشافي لذلك؟ هذه مسئلة من أعقد المسائل الاجتماعية التي حارت في حلها الافهام وهي لا تحل الا بالطرق الراهنة التي لا اشكال فيها ولا تنويه

أفضل حل يرتأه رجال السياسة هو اللامركزية بكل معانيها المتسعة وهو حل مقبول يجب التسليم به الى ان يظهر أفضل منه لانه نظري أكثر مما هو عملي ، فاللامركزية قد يمكن تطبيقها والعمل بها في المملكة التي تحتوي جنسيتين متساويتين عدداً وقوة وارتقاء بحيث يستطيع التساوي والتفاهم بينهما كما في بلجيكا ، ويسمر أو يستحيل في المملكة التي تكثر فيها الجنسيات كما في النمسا التي تحتوي على أكثر من عشر جنسيات متباعدة ومتنافرة بحيث لا يتألف منها مجموع مندمج في جسم المملكة ، لان التساوي

(المنار- ج ١١ م ١٦) اختلاف اللغات وشأنها في تنازع السلطة ٨٦٥

بين العناصر المتعددة يقضي باستعمال كل لغات البلاد في كل الادارات من مكتب بوسطة القرية الى الوزارة ومن غرفة قاضي الصلح الى محكمة النقض والابرار ومن اللجان البلدية الى المجالس النيابية عدا ما يوجب من انشاء المدارس الابتدائية والثانوية والمالية لكل عصر والسمي لتهديب آداب كل لغة ومكانة النبوغ في كل منها . وتلك مطالب لا يمكن تحقيقها والعمل بها لان ذلك تجزئة للمملكة وتفكيك للروابط التي تربط عناصرها ببعضها ببعض

ولا يمكن لمملكة تسكن فيها العناصر ان تستغني عن لغة للمملكة تكون اللغة الرسمية فالعصر الذي تكون هذه لغته يصبح سائداً والعناصر الاخرى مسودة فتتناوت الحقوق وتتم المساواة لان الشريعة تطلق لسان البعض وتخرس لسان البعض الآخر وتقسم أبناء الوطن الواحد الى قسمين أحدهما وطني حميم والاخر نصف وطني رأينا مما تقدم ان اللغة مطلب حيوي لا ينال بالاتفاقات المبرمة والعقود المعوجة، وان عقدة الاشكال فيها لا تحل الا بالطرق التي ذكرناها حلا يرضي الجنسيات على اختلافها لما ظهر لنا فيها من الاشكال والتعقيد وصعوبة التطبيق . فالحل الصادق الصحيح هو القوة لان كل ماعداها لا يفيد الا لتهدة تثار الخواطر الى أجل معلوم، لان تنازع اللغة كتنازع البقاء لا بد من أن يجري مجراه وينتهي بالهزيمة أو بالموت أو بالفوز . ويجب على المطالب بهذا الحق الحيوي أن يقبل الوعود بالامتيازات وأن يرفض الاقتراحات للتسوية والتراضي، فاما لاشيء وإما كل شيء

بدا تنازع الجنسيات منذ آلاف من السنين وكن في ماضي من الزمان كما تكمن النار في الحطب، وقد هب من سباته ليسترد القوة التي سلبت منه لان الجنسية المسلوقة الحقوق لا تقيم على الضيم الى الابد الا اذا ضعفت حيويته وقضى التاموس الطبيعي عليها بالموت . يثير شعب نشيط على بلاد فيفتحها عنوة ويستولي على أهلها ويستبد بأحكامها الا انه اذا لم يكن له قوة كافية يوهن بها المغلوب ولم يجمع لغته بقي دأماً في خطر من القيام عليه . واذا كان المغلوب اكثر منه عدداً قد يطرده من البلاد أو ينزع السلطة منه ويرغمه على انكار جنسيته

وأما في المهاجر فتقلب القوة بطريقة لا تبعد عن طريقة الفتح لان المهاجرين اذا كانوا أقوى وكثيرين طردوا السكان الاصليين وحلوا محلهم، والا فاما أن ينكروا جنسيتهم ويندمجوا في جنسية البلاد أو أن يرحلوا عنها ويطلبوا مهجراً يستقلون به (المنار ج ١١) (١٠٩) (المجلد السادس عشر)

٨٦٦ تنازع اللغة بين الدولة والامة وبم ينتهي (المار-ج ١١م ١٦)

ومحافظون فيه على جنسيتهم
وعلى ذلك يكون أفضل حلّ لتنازع الجنسيات اما الادماج والاندماج واما
الفصل والاتصال ، وكلاهما لا يبان الا بالقوة. والشواهد على ذلك كثيرة في التاريخ
القديم والحديث

هذه هي مسألة الجنسيات في نظر بعض علماء الاجتماع وهي الفصل الاخير من
فصول المأساة التي بدأ تمثيلها منذ بدء المهاجرات أو بعدها بمدة. وكانت الفترات بين
الفصول طويلة الا انها لا تطول الى الابد، فقد أرخى الستار على المشهد الاخير ليحضر
بعده مشهد من أشد المشاهد هولاً تمثل فيه معارك عنيفة بين الحق والقوة وتنتهي
بانتصار القوة .

لا يوجد ناموس في الدنيا (يحظر) على الكائن الحي الاحتفاظ بشروط كيانه ، ولم
يوجد في الدنيا من قال للأسد وهو يفترس خروفاً : نحل عن هذا الحروف . لان
الاسد يقبض على الحروف بدافع يدفعه الى ذلك وهذا الدافع هو الحق الذي يخوله
اقتراسه . على ان للحروف أيضاً حقاً بان يقتل الاسد اذا استطاع الى ذلك سبيلاً .
فالحق والقوة يجتمعان في حالة الدفاع عن الحياة أو في ما كان بأهميتها . والشريعة
المدنية نفسها تخول الانسان حق الدفاع عن نفسه أي تميز له في بعض الظروف ان
يدافع عن حقه بالقوة . والحرب ليست الادفاعاً بالقوة عن حق للامة . يرى شعب
أن شيئاً يلزم لحياته أو لكالياته فيمد يده الى ذلك الشيء ويكون حقه به كحق الاسد
بالحروف وصاحب ذلك الشيء يمنعه من اخذ أي يستعمل القوة للدفاع عن حقه
وليس للمغلوب منها ان يشكو بل عليه ان يستعد لاستئناف القتال في المستقبل .
واذا غلب ايضاً وحكم عليه بالانكسار الى الابد وجب ان يرضى بما حكمت عليه
الطبيعة وابن يعلم انه خروف وليس اسداً فيطبق احواله الحيوية على احوال
الحروف لانه لا يستطيع ان يحارب الطبيعة التي لم تلده اسداً

للامة التي تسلب لغتها منها حق شرعي بالدفاع عن ائمن ملك لها واذا لم يكن
لها قوة كافية للاحتفاظ بهذا الملك سقط حقها به . والامة السائدة حق بالاحتفاظ
بشرف لغتها ومنع كل امتياز يضر بها او يصف أهميتها واذا لم تستطع ان تؤيد حقها
هذا بالقوة وجب ان تدعن لمطالب الامة السوداء فتساويها بحقوقها وتتنازل عن
سلطانها المطلقة وتحفظ بما استطاع من السيادة ، لانها اذا كانت شرطاً لازماً لحياتها
اصبح زوالها قاضياً عليها بالموت لا محالة

(المنازع ١١ م ١٦) تنازع اللغة بين الترك والعرب في العثمانية ٨٦٧

لا يتوهم من أحد أني أرمي في هذا البحث إلى غاية مخصوصة أو أن أعني فيه أمة مخصوصة إذ لا غرض لي بالسياسة ووجهتي فيه الوجهة العلمية الاجتماعية فألمّ بالمسئلة من كل أطرافها وأطلقه على كل الجنسيات المختلطة على الألمان في النمسا وبوهيميا وعلى الدنماركيين في الشلسويك الشمالية والبولونيين في بوزن والرومانيين في ترانسلفانيا والعاليان في التراتين ولا استثنى العرب في تركيا. فالحسنة الملايين من المجر لهم الحق أن يحوّلوا إلى مجر الأحد عشر مليوناً المهابرين لهم الذين في هنكاريا وكانهم بذلك يسترون على العمل لاستقرار الفتح الذي بدأ سنة ٨٨٤. إلا أن الألمان والسلاف والرومان الذين في هنكاريا لهم الحق أيضاً بأن يدافعوا عن أنفسهم فإذا فازوا على المجر ونزعوا منهم جنسيتهم سقط حق المجر وقضي عليهم أن يرضخوا لما قدر لهم منذ أكثر من ألف سنة. والتشكك لهم حق بأن يطلبوا مملكة لا تقسمهم يتحررون فيها من الألمان وكانهم بذلك يستأقنون الممارك القديمة التي جرت بينهم وبين الألمان في المارش والحبال البيضاء. وللألمان حق أيضاً بأن يقاوموا بالقوة قوة أكبر وأن يشهروا حرباً ثالثة تكون الفاصلة بعد الحربين التاريخيتين السابقتين فيبرهنوا للتشكك نهائياً أنهم ليسوا أكفاء لمقاومة الفاتحين الذين دخلوا البلاد منذ اثني عشر قرناً ولم يقاومهم فيها أحد.

بقيت لي الكلمة الأخيرة عن تركيا وهي البلاد التي تهنا أكثر من سواها لأنها الوطن الذي نحن إليه ونحافظ على وحدته وكيانه فاقول: إن انفصال بعض الجنسيات عن تركيا في الحرب الأخيرة قد يكون في مصلحتها ومنفعتهم لأنها كانت سوساً ينفخر في جسم المملكة. وبقي فيها جنستان كبيرتان متكافئتان هما الترك والعرب وما عداها من جنسيات صغيرة ليس لاحداها أو لمجموعهما من القوة ما يخشى منه على نزع السيادة من الأمة السائدة ويقدر لها أما الرضوخ للقوة وأما الاندماج في إحدى الجنسيتين الكبيرتين. فإذا أذعن الأتراك لمطالب العرب وساوهم بأنفسهم واشركوهم في الأحكام والإدارات اشتد ساعدهم وصلح حالهم وقوي ملكهم والا كان القول الفصل للقوة وانتهى بها الأشكال على أحد أمرين أما الأذعان وأما الانفصال. وسيبرهن المستقبل صحة هذه النظرية إن لم يكن عاجلاً فاجلاً، تلك سنة الكون لا تنقضها سياسة الرياء ولا تحولها عن مجراها الوعود الكاذبة والعقود المرفقة

أن مأساة الجنسية التي بدأ تمثيلها منذ الوف من السنين على مسرح العالم لا بد أن تحتم مشهد تشهده أوروبا تمثل فيه المذابح والشرور والجرائم وبجانباها الشجاعة

والشهامة والشرف . تلك مظاهر الطمع والجشع وهذه مظاهر القوة الحيوية ، لان الفروع المنفصلة عن جذوعها تنح الى الرجوع الى اصلها فتجاهد ما استطاعت الى ذلك سبيلا ، فاما ان تموت في جهادها او ان تقوز فتجتمع باصولها . ذلك جهاد عنيف تموت فيه الامم الصغيرة وتباد الفروع التي ليس لها قوة كبرى من جنسها تفرع اليها وتخلصها من نير عبوديتها ، وثبتت الامم الكبرى التي لا يقوى عليها منازع . وقد ينقضي القرن العشرون قبل تمثيل هذا المشهد المؤلم ومن يشئ بعده يكن في امن من حفظ جنسيته والتمتع بها حينما كان

تلك سنة الحياة العامة والقوة تكسبها الحق بالبقاء وهي سنة تحكم على الشמוש في الفضاء ، كما تحكم على القناعات في الماء ، اذا هلك بها امة فلان ليس لها قوة تساعدوها على البقاء كالكائنات البيولوجية التي تهلك في ادوار النمو
(المقطف)
الدكتور
امين ابو خاطر

صحيفة

﴿ التيمس الافريقية ومجلة الشرق ﴾

سيدي الاستاذ العلامة محرز « المنار »

السلام عليك ورحمة الله وبركاته (وبعد) فقد دفني لكتابة هذه الرسالة بشأن جريدة « التيمس الافريقية ومجلة الشرق » مقالة مفيدة بعنوان « خدمة المسألة المصرية في إنجلترا » اطلعت عليها في « الامرام » الفراء الصادرة في ٢٣ شوال الماضي . قال حضرة كاتبها بعد ان عدّد الصفات الواجبة في الجريدة التي يمكن أن تخدم « المسألة المصرية » في إنجلترا بصورة دائمة مأمونة مضمونة النفع ما يأتي : (هذه الجريدة التي أشير اليها هي صحيفة « التيمس الافريقية ومجلة الشرق » ، وهي مجلة شهرية صغيرة الحجم كبيرة الفائدة زهيدة الثمن يتسابق الى شرائها الانكابر المهتمون بالمسائل الشرقية والافريقية قبل الشرقيين والافريقيين أنفسهم ، وتديرها شركة دولية لا افرض تجاري بل لخدمة صواالح الشعوب الملونة ، ولما ظهرت مقالة « الدستور المصري » في عدد اغسطس بعثت برسالة شكر الى رئيس تحريرها على اعتداله ونزاهته وأملت منه أن يوسع ما فيها من باب الكلام على مصر فكتب اليّ يقول إنه لولا ان اغراض الشركة انسانية وسياسية لا تجارية لما استعفت « المسألة المصرية » أقل نصيب من

عناية المجلة ، لأنه لا يوجد في الشركة فرداً واحد مصري من حملة الأسهم ، كما أنه لا يباع منها في مصر عددٌ يستحق الذكر ، ولا يوجد لها في القطر المصري إلا عدد قليل من المشتركين ، وربما كان ما يباع منها في مصر غالباً للانكليز أو للاوروبيين المقيمين فيها ، فياللعار والحجل (١١) هـ .

قرأت هذا بين حيرة وأسف أو زادت حيرتي عند ما قرأت الكلمات الآتية في مقالة حضرة الكاتب المشار اليه : (.....) وهذا النوع من الصحافة الذي هو قادر على خدمتنا موجود فعلاً وبدعونا لادلاله أكثر من مرة على شكوانا - وقد قرأت هذه الدعوة في عدة جرائد مصرية - ونحن لاهون صامتون كأنما لايحسون لنا ولا يقول (هـ ١) . وأظن أنه لاغربة في حيرتي ودهشتي لأنني ما كنت أظن ان اقبال الوطنيين المتعلمين بمصر على هذه المجلة النفيسة التي تدافع عن مصالح مصر بغيرة وتعقل يقل عن اقبال اخوانهم في اوربا الذين يعضدونها بكل قواهم ، وما كنت أظن ان وطنيتنا لاتزال محصورة في القول دون العمل ، وان مصر التي يوجد بها عشرات الآلاف من المتعلمين العارفين باللغة الانكليزية لا يتقدم منها ولو بضع مئات للاشتراك في هذه الصحيفة النافعة التي لا يربى اشتراكها على ٦ شلنات في السنة بما في ذلك أجرة البريد . على ان الأنكي هو أن نجعل أيضاً بنقشات أقلامنا في سبيل خدمة الامة ، والا فما معنى عدم تلبية كتاب مصر المتضلعين من اللغات الاوروبية لنداء تلك المجلة الذي تكرر مراراً كثيرة على صفحات أغلب الصحف المصرية ، فان قيل : ان اخلاصها مشكوك فيه . فيكفي لدحض ذلك دعوة المجلة إيانا لدالاتها على شكايينا بالرغم من عدم مساعدتنا المالية لها ، ويكفي أيضاً لبطلان هذا الزعم ان نعلم ان رئيس تحريرها هو صاحب ذلك الكتاب التاريخي السياسي المشهور « في أرض الفراغة - in the Land of the Pharaohs » الذي نؤثر به ذهن الرأي العام الانكليزي عن حقيقة الشؤون المصرية نقدم به مصر خدمة جليلة في وقت لم يعضده فيه مصري واحد ، وفي حين أنه لو كان أتفق ذكاه المشهود به وأوقف قلمه على نصرة الباطل وتشويه سمعة المصريين خاصة والشرقيين عامة كما جرت عادة الكتاب الاوروبيين لفاض عليه ذهب الاحتلالين ولرفقوا منزلته السياسية الى أبعد ما يصل اليه المتخيل . وان قيل : ان مركز الجريدة السياسي ومكانة الكتاب الذين يحررون فيها غير عالية ، فلا أدل على كذب ذلك من تناقل الصحف الانكليزية المشهورة لما يكتب فيها ، ومن من سادتنا الكتاب المصريين تفوق منزلته أمثال شارلس روشر ، وأليس

٨٧٠ انصاف وتمصّب الاوربيين على الاسلام والمسلمين (المنار - ج ١١ م ١٦)

شاهب . ودوجلاس سليدن . وكاثلين فريزر . واللورد لانجتون . واللورد نيوتن والمستر أوبري هربرت . وبدوين ساندز (جورج رافالوثش) وج . ب فيشر . ولورد موري واستروتن . والكابتن دكسن جونسون ، وكثيرين غيرهم لا تحضرنى أسماؤهم وكلهم ما بين كاتب فيها أوصديق لها . ويكفي للدلالة على نفوذها أنها هي صاحبة الفضل في تكوين « الجمعية العثمانية » التي وقفت الى مقاومة « الجمعية البلقانية » وتحويل أغلبية الرأي العام الانكليزي الى جانب العثمانيين بالاجتماعات السياسية العظيمة التي عقدتها وتعقدتها في كل مناسبة . وبالنشرات والمقالات وعلى الاخص بترجمة كتاب بيرلوتي (نزع تركيا Turquie Agonisante) الى اللغة الانكليزية

بعدهذا البيان ياسيدي الاستاذ اسمح لي ان أتطرق للكلام على النقطة الاساسية التي حركتني لتحرير هذا الكتاب وفهتني اليها مقالة (خدمة المسألة المصرية في إنجلترا) السالفة الذكر ، فاقول ان مجلة « التيمس الافريقية » ليست مجلة سياسية محضة بل لها أغراض ومرام أعلى من ذلك أهمها خدمة « السلام العام » وازالة سوء التفاهم بين الغرب والشرق وقتل روح التعصب الاعمى للدين أو اللون . وبالاختصار هي تعمل جهدها لاحلال الوثام وحسن التفاهم بين جميع شعوب الارض . وأظن سيادتكم تعلمون أنه يوجد في إنجلترا خاصة وأوروبا عامة من الآراء السخيفة عن الدين الاسلامي ما يدهش له كل من يعتقد في الاوربيين حب التحقيق والتسامح ، ولست أدري والله ماهي ذم اولئك المؤلفين الذين نقلوا اليهم هذه المعتقدات الساقطة التي يبرأ منها الاسلام والمسلمون وأفهموهم ان العادات والخرافات القبيحة المنصقة بالشعوب الاسلامية الحاضرة (كما تنصقت من قبل بالشعوب المسيحية) بسبب الجهل - سنة الله في أرضه - هي جزء من الدين الاسلامي . وكيفما كان الباعث لاولئك الكتاب على نشر هذه الاباطيل فالحقيقة المرة ان جذورها لا تزال ثابتة حتى الآن ولم يقتلع الا شيء ضئيل منها بهمة أمثال العلامة السيد أمير علي الهندي والاستاذين الكبيرين أرند وبراون . على ان حزب هؤلاء الافاضل المحققين المصلحين لا يزال صغيراً لا يمتد به ولا تزال القوة العظمى في أيدي السير هري جونسون والمستر نويل بكستون ومن على شاكلتهم ممن لا يحركهم غير التعصب الذميمة وعداء ما يجبهلون . والخلاصة ان كل مسلم في هذه البلاد لا يجد من أهلها - وأستثني الاقلية الضئيلة التي تعرف التسامح ولا تفهم الدين فهماً معكوساً كما أستثني الافراد القليلين الذين مجنوا بأنفسهم وعرفوا مزايا الدين الاسلامي وحسناته الواضحة لكل ذي عقل سليم -

(المنار - ج ١١ م ١٦) دعوة علماء الاسلام الى الدفاع عنه بلغات أوربة ٨٧١

لا يجسد من أهلها غير ازدراء به وترفع عنه يرجع بهضه الى التنبص للون ويرجع البعض الآخر لاحتقار دينه «البربري» ومهما حاول مناقشتهم وابلانهم مقرر الحقيقة لا يرى منهم الا ابتعاداً وتفسيراً لمناقشته بأنها مغالطة لا يوافق عليها علماء الاسلام . وان الباعث له على تفسيره المقبول وبيانه المعقول (الذي يعتبر مغالطة) هو شعوره بسقوط دينه وإثاره الدفاع عنه بما اكتسبه من المعلومات الغربية عن الاعتراف بذلك السقوط ١١٠٠٠٠ .

ومن هذا ترى ياسيدي المفضل انه لم تبق وسيلة لتبديل هذا الحال العجيب الا بتسابق علماء الاسلام المستوطنين في البلاد الشرقية - وسيادتكم في مقدمتهم - الى دحض هذه المفتريات في الصحف الأوروبية ذاتها ، ولا أنسب من جريدة (التيمس الافريقية ومجلة الشرق) لعل من ذلك ما يكفي لخراس السنة الافاكين، ورفع رؤوس جميع المسلمين المقيمين في أوربا الذين لا يقبل دفاعهم عن دينهم (بمجة انهم انما يكتبون متأثرين بالمدنية المسيحية !!) .

وليس غرضي ان أشير بفتح باب مناقشة دينية عنيفة ومجادلة خصوم الدين الاسلامي بشكل منفر كالذي اعتاده أغلبهم لأنه بغض النظر عن قلة الخدق في ذلك فالجلة المشار اليها التي غرضها الاساسي التوفيق لا التفريق وخدمة الحقيقة بوجه عام لا يمكن أن ترحب بكتابة على تلك الصورة ، ولكنها ترحب (على ما يظهر لي) بما نشر من قبل فيها) بكل كتابة أساسها التسامح والتحقيق وحب التوفيق ، ولا شك ان هذا المبدأ مما يرتاح اليه أمة الاسلام الذين نحتاج الى بياناتهم الزهية لتتوير الرأي العام الاوروبي في كثير من المسائل التي شوهت لديه ، وأخص بالذكر « مسألة المرأة المسلمة » فان الفكرة السائدة هنا هي ان المرأة المسلمة لا حقوق لها ، تباع وتشترى كبيع السلع ، ومقيدة بكثير من الاغلال والقيود التي لا يمكن أن تتفق مع الحضارة الصحيحة ومبادئ الانسانية هذا ومحسن ان أذكر هنا ما قرأته في « التيمس الافريقية » من أنها مستعدة لقبول كل ما يكتب في صالح مبادئها بأية لغة أوربية وان قلم ترجمتها ينقله الى الانكليزية ، ولا أظن أن من العسير على العلماء المسلمين أن يوفقوا بين اصدقائهم العارفين باللغات الاوربية الى ايجاد من يتبرع لهم بترجمة آرائهم الى الفرنسية أو الالمانية أو غيرها ان لم يجدوا من يقدر على ترجمتها مباشرة الى الانكليزية ، وحبذا لو بحث كل عالم منهم بصورته الشمسية الى المجلة المذكورة لتنشر بجانب مقاله لعل في هذا ما يدحض رأي الشائع هنا عن ان الدين الاسلامي يحرم التصوير الشمسي !!.....

٨٧٢ الانصاف والفضيلة في الاوربيين غير السياسة ودعاة الدين (المنار ج ١١ م ١٨)

واخيراً أوّل ان يكون من رسالتي هذه محرّكاً لهم ، لانه اذا كان من الصحافة أن تمام عن استنباط الوسائل التي تصون بها كرامتنا وندفع بها مهاجمة عدو ، فمن الجنون أن تعامى عن تلك الوسائل اذا هي وجدت فعلاً وكانت متهاقّة علينا ، وليس مما يشترّقا أن قرن بخلنا المالي في سبيل المصلحة العامة بخلنا القولي أيضاً ، ولستخذ لنا من نهضة الامم البلقانية والوسائل التي اعتمدت عليها في سبيل ذلك عبرة نعبر بها . فانه لولا استئجار تلك الحكومات لكثير من الصحف الاوربية وتصويرها السبائين بصورة المتوحشين ولولا ضربها على النفقة القديمة في تمثيل الدين الاسلامي ديناً « بربرياً » صريباً لا يستحق أنصاره الا الفناء لأنهم أهل مفسدة . لولا ذلك لما استطاعت جذب اغلب الاوربيين الى صفها ، الذين لم ينتهبوا لحقيقة الحالة الا بعد ضياع الفرصة ، ومماذا الله ان أشير على المسلمين أو العثمانيين بالتشبه بالبلقانيين في تشويه الحقائق ، ولكنني أطالبهم بعدم الاستمرار على التواني في الدفاع عن مصالحنا وخدمة الحق الذي يعهد الله أنا في جانبه ، وإطلاع الاوربيين على حقيقة الواقع لدينا وصدق شؤوتنا التي يعمل أهل الاغراض ليل نهار على تشويهها .

وأختم كتابي بذكر عنوان المجلة المشار اليها ليرجع اليه كل غيور تدفعه غيرة للمساعدة المالية أو الأدبية ، هذا مع العلم بأن مركز « الجمعية الثمانية — The Ottoman Committee الرئيسي هو في ادارتها ، وهذا هو نص العنوان :-

The African Times & Orient Review
158, Fleet Street, LONDON, E. C.

« عماد الدين »

برنجهام

(المنار) نشكر لكاتب الفيور نصحه وارشاده ، وتتمنى لو يقبل قراء الانكليزية من اخواتنا المصريين على الاشتراك في هذه الصحيفة التي طالما نمتى عقلاؤهم أن يكون لهم مثلها في وطنهم ، ولهي في لندن أقنع منها في مصر ، وتتمنى لو يوافقها أهل العلم الصحيح بالمقالات التي تبين للاوربيين حقيقة ديننا ومظالمنا ، فان أهل الفضيلة والاستقلال النفسي والانصاف وحب العدل لا يحصى عددهم في أوربة فاننا عرفوا حقيقة حالنا كانوا قوة لنا لا نستطيع تكوين مثلها في بلادنا . وانما كان ولا يزال يشي هؤلاء الفضلاء رجال السياسة ودعاة الدين ، (البشرون) وكلا الفريقين يستحل الكذب والبهتان وقلب الحقائق لان رياسته ومجده ورزقه توقف على رواج هذه التجارة فمن يقيس جميع الاوربيين على مايري ويسمع من تعصب هذين الفريقين فهو غلطى "ضال

مصائب مصر والصحافة العربية الإسلامية

« بالشيخ علي يوسف رحمه الله تعالى »

في صبيحة يوم السبت الخامس والعشرين من هذا الشهر (ذي القعدة الحرام - أكتوبر) نجفت مصر بأكرم سياسي فيها، وأشهر كاتب من كتاب صحفها ، النابغة الصحافي الكبير، صديقنا الشيخ علي يوسف منشئ جريدة المؤيد أشهر الجرائد الإسلامية في العالم وأعلامها قيمة ، وشيخ السادات الوراقية بمصر ، فاهز القطر المصري لوفاته ، واضطرب اضطراباً ظهر أثره في جمهور العقلاء والمفكرين ، وشعر بأنه فقد ركناً من أركان حياته السياسية والاجتماعية بمن أن يرى له خالفاً ، أو يجد عنه عوضاً ، واعترف الموافق للفقيد في سياسته والمخالف له فيها بأن مصاب مصر فيه كبير ، وأن الفراغ الذي حدث بفقده واسع بمن أن يوجد من يملؤه . وسيدشارك القطر المصري في مصابه سائر الاقطار الإسلامية ، ولا سيما العربية

حسب الرجل نبوغاً وفضلاً أن يوصف في قومه ببعض أسماء التفضيل ، ويكون وصفه بها حقاً لا مرأى فيه ، وفي مصر كثير من الكتاب والمشتغلين بالسياسة ، ولا خلاف بين المارقين المتصفين في كون الفقيد أوسعهم في الشؤون المصرية خبرة ، واسد هم رأياً ، وادغامهم عزماً ، واكتسبهم قلماً . وانك لتجد العقلاء المفكرين يحيلون الآن قذاح الفكر ، ويراجع بعضهم بعضاً الرأي ، ويتساءلون بينهم : من يخلف علياً في سناسه المصرية الإسلامية ؟ فلا يكون الجواب الا : يجب التفكير والبحث .

كيف نبغ هذا الرجل في مصر بين أوف ممن نالوا ما لم ينله من شهادات المدارس الدينية والمدنية ، ونشؤا في بيوت أكبر من بيته جاهاً وأكثر مالا ؟

نفس عصام سوّدت عصاماً وعلمته الكرم والاقداما

ان المدارس لا تعطي أبناءها نبوغاً، ولكنها تعطيم آلات للعمل وسلاح الجهاد، أو تدلهم على ذلك . وما كل من وجد الآلة يحسن العمل ، ولا كل من يحمل السيف والقتال ، يصيب بهما مقاتل العدى . وبيوت الجاه والمال ، لا تستطيع ان تكون عظماء الرجال ، ونما ينبع النابغون باستعدادهم الذاتي وصفاتهم النفسية ، وقد أودع الله في فطرة فقيدها حائلاً عظيماً من هذه الصفات والسجايا ، أعلاها قوة الإرادة وصحة الزمعة ، والاقدام مع الروية ، والثبات والصبر ، والبصيرة في العواقب ، وحب معالي الانور واختصار سفاسقها ،

وقد دفعه استعداد للظهور الى التطفل على الصحافة من غير استعداد لها بتعليم معلم، أو تربية مرب، فأقدم غير هياول ولا وكل، وعلم نفسه الكتابة بالتمرن والعمل، حتى صار طفيلي الكتابة هو صاحب مائتها الكبرى في وطنه، وما تلك المائدة الا (المؤيد) وياها من مائدة كان يفضلها على غيرها أكبر كتاب مصر، فيرغبون ان يكونوا طهاة يبيثون لها الطعام الطيب نارة، وضيقاً كاون ما طالب لهم ما يطبخه صاحبها أو يختاره من طيبات غيره. وان شئت قلت: كان المؤيد مدرسة جامعة عليا ياتي فيها أكبر علماء المسلمين وكتابهم الدروس العالية في العلم والدين والسياسة والاقتصاد والادارة وسائر المعارف الاجتماعية، فكان من أسانئها وأعوانها الأستاذ الامام والشيخ عبد الكريم سلمان وأمين باشا فكري وحسن باشا عاصم وسعد باشا زغلول وقاسم بك أمين وعلي بك نخري والمويلحي والهللواوي وغيرهم من الكتاب والمفكرين، وكان أكبر أنصارها ومروجيها وزير مصر العظيم مصطفى رياض باشا. وناهيك بمن كانوا يتعاهدونها برسائلهم من سائر الاقطار الاسلامية. وأما الذين تربوا فيها، وتعلموا الكتابة او السياسة بارشاد فقيدنا اليوم، فكثيرون جداً، ومن أشهرهم مصطفى باشا كامل ومحمد أقدي مسعود وحافظ بك عوض

مولده ونشأته ومؤيده

ولد الفقييد في بلدة صغيرة تسمى (بلصفورة) في مديرية جرجا سنة ١٢٨٠ وبعد تعلم مبادئ القراءة والكتابة مال الى طاب العلم فابتدأ بالطلب على شيخ من شيوخ العلم والتصوف في (بني عدي) كان له عناية بتربية أخلاق تلاميذه فلما يلتفت الى مثلها أمثاله في هذا الزمان. ثم في سنة ١٢٩٩ جاء الازهر للمجاورة فيه فأقام فيه ثلاث سنين أو أربعا يشغل كما يحب، وعني من نفسه بالادب ونظم الشعر، وفي السنة الخامسة مل الطالب، وجنحت نفسه لما هي مستعدة له من العمل، فأنشأ (مجلة الآداب) بلاشتراك مع الشيخ أحمد الماضي، ثم استبدلا جريدة المؤيد بمجلة الآداب سنة ١٣٠٧ ثم استقل الفقييد بها بعد ذلك. فرباها بعزمه وحزمه وثباته وذكائه، وربته بما أدخلته فيه من الحوادث السياسية والمدنية، وما جعلت له من الصلة بكبار رجال الحكومة وسمو الأئمة والتعاون مع كبار الكتاب والمفكرين. فلولا صبر الشيخ علي وثباته وفطنته لما قوي المؤيد على ما لقيه من المقاومة وتحامل الاحتلال والاجانب وناهيك بنفوذهم في مصر، ولولا المؤيد لما كان الشيخ علي ذلك السياسي الحنك والكتاب القدير، فانه لم يتعلم الكتابة والسياسة في بني عدي ولا في الازهر، وما ثم من كتابة ولا سياسة. فظهر بهذا ان الرجل قد نبغ باخلاقه وسجاياه التي

(المنار-ج ١١م ١٦) الصحافة وكيفية نشأة المؤيد وظهور صاحبه ٨٧٥

دفعته الى الاقدم على العمل ، وأقدرته على مصارعة الحوادث، ومقارعة الكوارث، حتى صار أشهر رجال السياسة في قومه ، وأقدر كتابها في وطنه، وعرف اسمه الشرق والغرب ، فتقدم الى الامام، وتخلّف أصحاب الشهادات العالية في العلوم القديمة والحديثة فصاروا وراءه في هذا الميدان . فبهذا يعلم القارئ ان الرجل دخل في عالم العمل وهو لا يحمل من آلاته الصناعية والفنية شيئاً يذكر ، ولم يمنعه ذلك ان يبذل حاملي أحدث الآلات الصناعية والفنية ، وانه خاض معامع الجلال في الجدل وهو أعزل ، فجذل فرسانها المدججين بامضى أسلحتها الحديثة * هذا وما ... فكيف لو ... *

كانت الصحافة المصرية قبل المؤيد وقفاً على السوريين المسيحيين. والسوري من أقدر الناس على الاصطباغ بصبغة الوطن الذي يهاجر اليه، وعلى خدمته للعلم والادب والسياسة فيه كما يخدم في وطنه . فاذا هاجر الى أوربة يقدر ان يكون أوروبياً ، واذا هاجر الى أمريكا يقدر ان يكون أمريكياً ، فاجدر به ان يكون مصرياً في مصر التي يصح ان تسمى وطناً أصلياً له ، لانه يشارك أهلها في اللغة وأكثر العادات ، لقرب الجوار وكثرة الاختلاط ، وناهيك بهما وبمكاتهما من مقومات الامة وروابط الجنسيات ، لهذا كانت خدمة أكثر السوريين الذين اشتغلوا بالصحافة مرضية عند المصريين، ولولا ذلك لما نجحوا وعاشوا هذه العيشة الراضية ، وصار بعضهم صاحب ثروة واسعة . بل أقول ان أكثر الصحف السورية ومديريها ومحرريها قد صادفوا في مصر قبولاً ومساعدة من جمهور الامة وهم المسلمون ، وما نجح من نجح منهم الا بمساعدة الامة برضاها واختيارها ، اللهم الا المقطم فانه أنشئ مشايماً للاحتلال الانكليزي ، فكره ذلك منه المسلمون فكان نجاحه بنفوذ الاحتلال والحكومة المصرية ، مع قدرة أصحابه وبراعتهم، وسعة علمهم واختبارهم وما شعر المسلمون بشدة حاجتهم الى جريدة وطنية اسلامية الا بعد ظهور المقطم بهذه السياسة وان كانت مصبوغة بصبغة وطنية ، تحاول اقناع المصريين بأن كل ما ترمي اليه هو الموافق لمصلحة مصر في هذا العهد أو الطور الذي دخلت فيه . واذا جاز اقناع بعض الناس بان هذا صواب في الجملة ، فلا يمكن لإقناعهم بأن كل ما يحاول الانكليز عمله في مصر إما موافق لمصلحة المصريين، أو يجب سكوتهم عليه وان لم يكن موافقاً لمصلحتهم ، وهو ما كانت تدور عليه سياسة المقطم ظهور المقطم في وقته كان طبيعياً ، وظهور المؤيد وقيامه بمعارضته كان ضرورياً، وقد كانت جريدة الاهرام معارضة للمقطم في سياسته الاحتلالية ، ولكن ذلك لم يكن مبنياً للمصريين المسلمين عن انشاء جريدة تشعر بشعور الامة وهي اسلامية، وتعتبر عن

٨٧٦ مذهب المؤيد ومن يصلح لرياسة تحريره (المنار - ج ١١ م ١٦)

وأياها ووجدانها من كل وجه ، وهما صدقت وطنية المخالف للامة في دينها ، وأخلص في خدمتها ، فانه لا يمكنه ان يشعر بشعورها ، ويدرك كنهه مصالحها ويفار عليها كغيرها ، فكيف اذا كان مبلغ صدقه لها لا يمدو صدق الصانع الأمين الذي يجيد الصنعة على قدر الاجرة !

هذا وان الدين دخلا كبيرا في المصالح السياسية والوطنية لا ينكره الا جاهل أو مكابر ، فها نحن أولاء نرى طائفة القبط كانت وما زالت اشد معارضة للمسلمين في منازعهم السياسية والمصالح والمنافع المصرية من الاجانب أنفسهم ، بل نرى مثل هذا في أرقى البلاد مدنية ، فان طائفة البروتستانت في (أرلندة) غير راضية بالاستقلال الذي رضىته الحكومة الانكليزية لوطنها لان أكثر أهله من طائفة الكاثوليك ، وكلهم نصارى ! إذن ، كان من أكبر قصير مسلمي مصر وإهملهم وتوكلهم أن لا يكون لهم جريدة اسلامية سياسية ، أو عدة جرائد اسلامية سياسية وغير سياسية ، وقد كان فقيدنا اليوم هو الذي أزال هذا النقص ، والفضل الاكبر فيه له . وما ينتقد على القبط كله انه لم يستطع إيجاد شقيقة أخرى للمؤيد ، بل مرض المؤيد بما أصاب مؤسسه من الامراض الجسدية والنكبات المالية ، وخيف عليه السقوط على قوة اساسه ، ونور نبراسه ، ولم تظهر السكفاءة من أحد لانشاء مثله ، واستست له شركة فلم تستطع الاضطلاع بأمره ، وانما كان أعضاء شركته كغيرهم يرجون ان يعود الى ما كان عليه بمودة الصحة الى مؤسسه ، فلما وقع قضاء الله تعالى شعروا وشعر جميع أهل الرأي والغيرة بوجوب العناية به ، كما يليق بمكاته وأفقه ، وهذا هو موضوع حديثهم ومهمهم اليوم لا يمكن ان تحمل محل المؤيد جريدة أصحابها وكتابتها من غير المسلمين ، ولا من المسلمين المتفرجين ، بل لابد ان يكون الروح المدبر لمثل هذه الجريدة كروح من فقدنا اليوم - اسلامي قبل كل شيء - بأن تكون تربته اسلامية وعنده من المعارف الاسلامية والوقوف على حال العصر ما يعرف به كيف يحافظ على مصالح امته المليية ، من غير إخلال بالحقوق العامة والمنافع الوطنية ، ليعرف كيف يدير السفينة في مهابت المواصف الاجتماعية والسياسية التي تمس الدين ومصالح أهله ، كالعاصفة التي هبت منذ بضع عشرة سنة على المحاكم الشرعية بسمي بطرس باشا فالي فكادت تقوض بناءها المنوي ، وكعاصفة القبط التي أرادوا بها ان يأتوا على آخر ما بقي للمسلمين من شيء في حكومة هذه البلاد ، حتى شعار الجملة والاعباد ، وكعاصفة متفرجي المسلمين الذين يدعون الى فرجة النساء ، وهتك ما بقي من آثار العفاف والصيانة والحياء ، باسم تحرير

(المنار - ج ١٦م ١١) المؤيد هو الجريدة الإسلامية المصرية. ومكان اللواء منه ٨٧٧

المرأة وتمدينها ، وترقية الأمة وتعليمها ، وكالما صفة التي أثارها بعض أهل الأهواء من المسلمين لمقاومة مشروع الدعوة والارشاد - فهل يرجى ان يدير سفينة المصلحة الإسلامية في مهاب امثال هذه العواصف مسيحي مهما كان محبا للبلاد وأهلها ، أو متفرنج جاهل بحقيقة الاسلام يصدق عليه المثل « صديق أحق شر من عدو عاقل » ؟

الا انه قد علم المسلم وغير المسلم انه لم توجد في مصر جريدة سياسية اسلامية بحق الا جريدة المؤيد ، وان وجودها ضروري من الضروريات ، لا من الحاجيات أو التحسينيات. نعم وجدت عدة صحف للمسلمين لكنها غير اسلامية المشرب والسياسة . وقد أكثر بعضها الجمجمة باسم الاسلام والمسلمين ، وأظهرت الغلو في التشنيع على الممارضين والمخالفين ، تحاول بذلك ان تمت المؤيد وتحمل محله . وانما تلك نزعات أهواء ، ومظاهر سمعة ورياء ، وكان أمثلها جريدة اللواء ، وابن اللواء من المؤيد

واين الثريا واين الثري واين معاوية من علي

ما كان اللواء الا إعلانا لوطنية صاحبه ، وشاعرا يطربه في كل عدد ، على حين تمر السنة والسنين ولا ينشر في المؤيد شيء في تعظيم صاحبه ، اللهم الا في الحوادث التي يكتب فيها شيئا يكون شديد الوقع في البلاد ، فيجذب هذه الناس بالبرقيات والرسائل ، ويرى ان في نشرها ، يانا لرأي الجمهور في موضوعها ، ولا يصدده عن النشر كونه هو الموضوع او كون الموضوع يتضمن الثناء عليه . فالفصل بين المؤيد واللواء ان المؤيد جريدة المصلحة العامة للدين والدولة ومصر وأميرها ، على قاعدة ان مصلحة مصر مرتبطة بسلطة أميرها . واما اللواء فهو - وان انشيء محاكاة للمؤيد لأن صاحبه تربى في حجر صاحب المؤيد - لم يكن الا جريدة مصطفى كامل نفسه ، فكانت تكون مع الامير تارة وعلي تارة ، وتوافق احكام الاسلام ومصلحته تارة وتخالفه تارة ، يدور ذلك كله على ذلك المحور الشخصي ، وليس هذا مقام إثبات هذه المسألة بالشواهد والبيانات . وحسبي ان أذكر الواعين بتهيج اللواء اليهود على الاستاذ الامام ، لأنه فسر ما ذمهم الله تعالى به في القرآن ، وبتشنيعه للقصاص في القتل عند دفاعه عن ضابط قتل آخر في السودان ، وقد كتب الله علينا القصاص بنص القرآن ، دع انقلابه على أمير البلاد الذي لو لانه عليه لم يكن شيئا مذكورا ، وقد مات اللواء وصاحبه ومات صاحب المؤيد ايضا ، فلا هوى لأحد في ترجيح احدي الجريدتين على الأخرى ، وانما غرضنا بيان الحقيقة انصافا للتاريخ ، وتبنيها للأمة الى مزية المؤيد وفضله لتحافظ عليه ، وتذكيرا لشركة المؤيد ، ولا محاب للنفوذ في البلد ، بوجوب اتقاء رئيس

لتحريره يحفظ مزاياه كلها من حيث هو جريدة اسلامية عربية مصرية .
(وستتكم على سياسة الفريد وسائر ما نرى فيه العبرة من سيرته فيما يأتي ان شاء الله تعالى)

﴿الازهر ودعاة النصرانية﴾

قد اشتدت في هذا العام حملة دعاة النصرانية بمصر (وكذا في غيرها) على الاسلام واتحدت جمعاتهم على ذلك . وهم يذلولون جهدهم هنا في اغواء بعض مجاوري الازهر الذين فتنوا بالاختلاف الى جمعاتهم التي يدعون فيها الى دينهم ويطنون فيها في الاسلام . ونحن نعلم ان المجاور في الازهر قد يقيم فيه بضع سنين لا يتلقى كتابا من كتب العقائد ، وان كثيرا منهم لا يفهمون ما يتلقونه منها فهمما صحيحا ، وان الذين يفهمون هذه الكتب المتداولة كشروح السنوسية والجوهرة والنسفية وحواشيهما لا يستفيدون منها علما يدفعون به شبهات دعاة النصرانية ومطاعنهم في الاسلام ، لأن مسائل هذه الكتب محدودة لاغناء فيها . وهي تتلقى بالتقليد ، ومن اظهر الاشتباه في شيء منها ينزلق بالاعتزال أو الابتداع أو الكفر .

ألا فليتذكر المجلس الأعلى للأزهر ومجلس ادارته أن هؤلاء المجاورين في بلاد اطلقت فيها حرية الطعن في الاديان ، وانه يطبع فيها كل سنة ألوف كثيرة من الكتب في الطعن في القرآن ، والنبي عليه الصلاة والسلام ، وأن بلادا كهذه يجب ان تعلم فيها العقائد وعلم السلام ، على طريقة الاستقلال والاستدلال ، الموافقة لحاجة الزمان والمكان ، وان السنوسية والنسفية والدوانية لاغناء فيها الآن ، وان هذه الفوضى في الازهر مع هذا الضعف في تعليم أصول العقائد والدفاع عنها ستفضي الى الحزبي والمار بافتان بعض المجاورين الجاهلين وتصرفهم ، فانه اذا تصرف بعض مجاوري الازهر يتخذ ذلك دعاة النصرانية حجة على عجز اكبر معاهد العلم الاسلامي في الارض عن إثبات الاسلام وإبطال شبهات النصرانية

فأقترح على المجلس الأعلى للأزهر أمرين يجب عليه المبادرة اليهما (احدهما) تغيير طريقة تدريس العقائد وعلم الكلام وجعلها على الوجه الذي فهم من سابق كلامنا هنا وهو ما ينه في الفصل الملحق بنظام دار الدعوة والارشاد (ثانيهما) حصر طلاب الازهر بنظام جديد ، يجعل فيه لكل مئة منهم تقيي ، ولكل عشرة من المئة عريف ، ليسهل معرفة سيرتهم واحوالهم عند مشايخ الأروقة ومجلس الادارة . ثم يجعل غشيانهم محاقلة دعاة النصرانية مشروطا باذن من مجلس الادارة او من رئيس لجنة خاصة

(المنار - ج ١١ م ١٦) الإصلاح في الولايات العثمانية وحزب اللامركزية ٨٧٩

تعين للنظر في ذلك . وهي لا تأذن لأحد منهم الا بعد العلم بعرضه من الذهاب ، وبكنه استعداده في هذا الامر ، وما يجب ان يزود به من الوصية ، ويشترط عليه بعد العودة ما كان من تأثير ماسمعه ورآه في نفسه ، ويرشد من يؤذن لهم بحضور هذه المحافل الى قراءة الكتب النافعة في موضوع الخلاف بين الاسلام والتصريفية . ومن خالف مثل هذا يعفى اسمه من دفاتر الازهر ، وتعلن حقيقة حاله حتى لا يشتر بصفته أحد . وإذا قبل المجلس رأينا يستغني بهذا الاجمال عن التفصيل ، (والله يقول الحق وهو يهدي السبيل)

﴿ بيان حزب اللامركزية والإصلاح في الولايات العربية ﴾

نشرنا في غير هذا الموضع بيان حزب اللامركزية الا قليلا منه أشرفنا الى سبب حذفه . أما السبب الذي حمل الحزب على هذا وعلى حمل اللجان والجمعيات العربية على ارسال البرقيات الى الصدارة العظمى بطلب اللامركزية فهو مشروح في البيان . ونزيد عليه شيئا نعلمه علم اليقين عسى أن تدبره الوزارة حق التدبر وهو : ان بعض المتعلقين للحكومة اليوم ، الذين كانوا أشد تعلقا للحكومة الحميدية من قبل ، مازالوا ينشئون الوزارة الحاضرة وجمعية الاتحاد والترقي بتهوين أمر طلاب الإصلاح اللامركزي ونحقيهم ، وزعمهم أنهم لا قيمة لهم عند الامة ولا هي ترى رأيهم ، وان الحكومة يمكنها أن تأني هذا البنيان من القواعد بموتهم ، وهم أصحاب الزعامة بزعمهم ، وما عليها الا أن تواتيهم على ما جربوا من السياسة الحميدية فتعيد فتنة الرتب والاوزمة سيرتها الاولى ، وتفتن بزخرفها وزينتها أشهر علماء المسلمين ، وبعض قرنائهم من المعارضين ، فيتحد الفريقان على المصلحين ، ويحاربون الإصلاح باسم الدين ، الذي جدل به عبد الحميد فرسان الاحرار تجديلا ، فجعلهم لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا ، (ولكنهم اهدوا بعد الى القوة)

هذا ما بلغ رجال الحزب من خبر المعارضين للإصلاح ، ثم رأوا ان الحكومة انخدعت لرقيتهم . وأمطرت على حملة العمائم مطرا من الرتب والاوزمة ، بدون عمل كوفتوا بها عليه ولا مناسبة . ومن يهندي برأي رجال عبد الحميد ، لامندوحة له عن عمل عبد الحميد ! ولم تكن نتظر هذا من رجال حكومتنا الحاضرة . ولكنهم سوّفوا في ما وعدوا به من الإصلاح ، حتى ما صدرت به ارادة مولانا السلطان ، وعادوا الى التجارب التي تضيع بها نفائس الاوقات ، فأراد حزب اللامركزية أن يريهم آية

٨٨٠ عناية نظارة المعارف المصرية باللغة العربية (المنار - ج ١١ م ١٦)

من أكبر الآيات ، على صدقه وإخلاصه هو وسائر المطالبين بالإصلاح ، وأنهم هم زعماء الأمة لا أولئك المدعون الكاذبون ، الفارّون المفرّرون ، وسيعلمون أيضاً أن معارضي الإصلاح من الممّنين ، تدمرهم الأمة من المنافقين ، فلا تفوذ لهم في أمر الدنيا ولا الدين ، وأما من عداهم من الصادقين ، فهم لا يبيعون دينهم وأمتهم بالرتب والنياشين هذا وإن رجال حكومتنا يعلمون أن أكثر المعارضين للإصلاح من العرب أولو نملق ودهان ، وطلاب مناصب ومنافع ، ولاكنهم كانوا يظنون أن السواد الأعظم من العرب أقرب إلى رأيهم ، لغلبة الجهل عليهم ، وإن لهم نفوذاً في البلاد إذا أيدته السلطة بزيادة قوة ، فيكون عوناً للحكومة على ما يريد من الأمة ، فأراد الحزب أن يخدم الحكومة بكشف الحقيقة لها في هذا الأمر أيضاً . لهاها تبادر إلى الإصلاح من تلقاء نفسها ، في هذا الوقت الذي يعمده طلابه فضلاً واحساناً منها

فإذا هي أصرت على المطل والتسويق يخشى أن تنتقل المسألة العربية بحسب سنة الله تعالى في نظام الاجتماع البشري إلى طور آخر يضطر الحكومة إلى الإصلاح اضطراراً ، أو يلجئ الأجانب إلى التوسط بينها وبين العرب ، كما أنشؤا يتوسطون بينها وبين الأرمن . وهذا ما لا يرضاه طلاب الإصلاح من العرب ، ولذلك لم يسمعوا إليه كما سمعت الأرمن . ، ولاكنهم يخشون أن تلجئ إليه طبائع الأحوال ، وتقضي به سنن الاجتماع ﴿ عناية نظارة المعارف المصرية باللغة العربية ﴾

عرفنا أحمد حشمت باشا ناظر المعارف بمصر من قبل أن يتولى هذه النظارة ومن قبل أن يدخل في سلك الوزارة غيوراً على اللغة العربية حريصاً على إصلاح التعليم بها ، وكان يتكلم في ذلك مع من يراهم أهلاً ، أو يرجو منهم عملاً ، ويساعد الأدباء والمؤلفين بحاله وجاهه عند ما يرى لذلك طريقاً . وقد ظهرت هذه الفيرة والحرص منه في عهد وزارته للمعارف ، فلا يزال يجد ويجتهد في إصلاح التعليم لهذه اللغة والتعليم بها ، وتوسيع نطاق العلوم والفنون فيها ، فهو الذي سن سنة التعليم العملي في النظارة ، وأسس مدارس جديدة للزراعة والتجارة ، وزاد في دروس مدارس البنات كل ما يحتاجن إليه من العلوم والأعمال ، عند ما يصرن ربّات بيوت وامهات أولاد . وقد نشر في هذا الشهر منشورات حم فيها العناية بدرس متن اللغة وضبطها وإتقان تدريسها ، وشكل كتب التعليم ، وتسهيل قراءتها بما سموه الترقيم ، وهو وضع علامات للوقوف التام وغير التام فيها ، وعلامات للاستفهام والتعجب وغير ذلك مما سبقنا إلى استعماله في المنار ، وستكلم عن هذا الإصلاح بالتفصيل في الجزء الآتي إن شاء الله تعالى